

روائع الأدب الفرنسي الكلاسيكي

جان راسين

بايزيد

مأساة

ترجمة

يوسف محمد رضا   خليل شرف الدين

دار الكتاب اللبناني


روائع الأدب الفرنسي الكلاسيكي

جان راسين



ترجمة
خليل شرف الدين يوسف محمد رضا

منشورات
دار الكتاب اللبناني
للطباعة والنشر

نهجنا في الترجمة

روح النهج : حين أقدمنا على نقل هذه الروائع الفرنسية الى العربية كنا على مثل اليقين بأن العمل شاق ودقيق ، بل لعله مغامرة ذات حدين لا يأمن معها مقتحمها العثار . الا أن اللذة التي يستشعرها المغامر إبان تقحم المعركة تهوّن عليه ، وقد تنسيه نتائجها .

هذه اللذة الغامرة في نقل الروائع العالمية لا تعادلها الا لذة الخلق والابداع[1] . ذلك لأنها لذة ذات معطيات كثيرة : منها هذا التلاقي الفكري والروحي مع صاحب الرائعة حتى ليخيل للناقل الأمين انه يسمع كورني وراسين — مثلاً — يهمسان ويهتفان — في لحظة الصياغة العربية — باللفظ العربي المبين .. ومنها تلك المتعة في تجديد شباب الرائعة وجعلها تحيا في المناخ العربي وترفل بالثوب العربي القشيب . انها متعة الخلق إياه في عملية الاحياء الفني . كما ان منها هذا الاسهام الجدّي في اغناء الخزانة العربية بالخالد من مآسي الأدب الفرنسي وفواجعه وملاهيه في عمل موضوعي هادف بعيد عن الآنية والطفرة والاجتزاء والسطحية بعدّه عن الروح التجارية التي لا ترى في الأثر المنقول سوى طريقٍ سهلٍ لإثراء هزيل متقطع الأنفاس ..

---

١ — ولعل النقل الأمين الكفء هو خلق وابداع بحد ذاته .

من أجل كل هذا وفي سبيل تحقيق بعضٍ منه ألزمْنا أنفسنا بلون من الوان الحياة القاسية حتى نستطيع ان نخرج عملنا في سلسلة متواصلة الأمشاج لا انقطاع فيها ولا بتر ولا اكتفاء بأثر أو أثرين للشاعر الواحد ، بل بمتابعة نقل خوالده كلها ما سمحت فسحة العمر وما استطاعه جهدنا من بذل .

أما العزاء الكبير لنا عما نلاقيه من عَنَتٍ وإرهاق فهو حين يجد طلاب الأدب الفرنسي في ثانويات لبنان والعالم العربي – بمغربه ومشرقه – في هذه السلسلة عوناً على تفهم المسرحية تفهماً مطمئناً ، والاستمتاع بها استمتاعاً عربياً – فرنسياً في آن ، ذلك لأن نوع ترجمتنا يساعدهم كثيراً على تخطي صعوبات عديدة اذ يهيء لهم جواً حميماً خاصاً لا للفهم وحده بل للتذوق والتفاعل أيضاً مع الشخصيات والأحداث :

فطريقة « ترقيم الأبيات » في النص الفرنسي هي نفسها في النص العربي المقابل ، وتفسير الكلمات التقنية والهامة وذوات الأعمار[1] ، واثبات الأبيات الفرنسية الشهيرة المنتزعة من المسرحية والمتداولة على ألسنة طلاب الأدب الفرنسي ، كما هي ، في الهوامش والحواشي . كل ذلك يجعل من النص العربي للمسرحية « معجماً » يرجع اليه حتى قارىء المسرحية بنصها الفرنسي نفسه .

---

١ – اي تلك التي استعملت في القرن السابع عشر ولم تعد مستعملة الآن او مستساغة ، او تلك التي عرفت للشاعر .

طريقة النهج :

وبعد ، فقد جرينا في الترجمة مجرى المذهب القائل ان المقصود من نقل الرائعة هو نقل الفكرة التي أوردها الشاعر دون التقيد باللفظ والوزن طبعاً . فان كنا قد أطنبنا في شرح الأفكار وزدنا عليها شيئاً أو اذا كنا قد اختصرناها وأنقصنا منها نوافلها فاننا لم نفعل ذلك الا على قدر ما تستدعيه الترجمة الأمينة الواعية التي لا ترى في الصنيع الأدبي الفاظاً مجردة بل عالماً كاملاً مميزاً يعيش فيه الأديب قبل وإبان خلقه فتأتي اللفظة والصورة من هذا العالم الفريد المميز مشحونتين بكهربائية الأديب لانهما تتنزلان عن كيانه فلذتين وتنبثقان من روحه قبسين يحملان؛ الى جانب معانيهما كل مفاهيم الشاعر الأخلاقية والفلسفية وأكثر أصداء العصر ومواضعاته وتقاليده ، وبالتالي لون حضارته الفكرية والفنية ؛ لا سيما اذا كان الأثر المنقول عالمي الشهرة ومبدعه من الخالدين .

كل ذلك حتى نتمكن من نقل أفكار الشاعر وصوره الى القارىء كاملة صحيحة كما لو كان الشاعر نفسه قد حاول نقلها الى العربية .

ومن صعوبة الترجمة ألا غنى لمن أراد محاذاة الكمال فيها ، عن ان يكون ضليعاً في اللغتين معاً ، وهذا أمر عسير ؛ ذلك أن اللغة لا تقبل ضرّة لها ولا بد ان تطغى احداهما على الأخرى . فنحن اذ نفكر — عند معرفتنا اللغتين — تزحم ألفاظُ اللغة الأقوى ألفاظَ أختها على تفكيرنا ولساننا .

وقد فطن الى ذلك الأقدمون . قال الجاحظ في « البيان والتبيين » عن موسى بن سيّار : كان من أعاجيب الدنيا . كانت فصاحته بالفارسية

في وزن فصاحتة بالعربية ... واللغتان اذا التقتـــا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضيم على أختها » .

من هنـا كانت صعوبة النقل الأمـين للأثر — خاصة الشعر — الذي لا يكفي معه ، كما هو معلوم ، نقل المعنى المجرد ؛ ولن يتاح ذلك للناقل الا اذا توفرت فيه خصائص كثيرة ، أهمها الفهم العميق لا للنص بمعناه القريب والبعيد فحسب بل لصاحبه ومزاياه العقلية والشعورية وأثرها في أسلوبه .

« ثم أن الترجمة أعصى على الأديب من التأليف من حيث انهـا تتطلب الدقة والأمانة في نقل المعنى دون زيادة أو نقصان أو تشويه . أما في التأليف فللمنشىء كل الحرية في أن ينصرف عنه الى ما يقاربه . وفي باب الأمانة للأصل ، للرومان قول مأثور : « الترجمة خيانة » . وقديماً قال الجاحظ : « والشعر لا يجوز عليه النقل » . ذلك ان في الشعر وزناً وقافية يجعلان ترجمته أعسر من النثر فضلاً عما فيه من خيال وبيان وإيجاز .

ومن لطيف ما نظمه احمد فارس الشدياق في هذه المعاني قوله :
ومن فاته التعريب لم يدر ما العنا ولم يُصلَ نار الحرب الا المحارب[1] »

أما عملية نقل الشعر الأجنبي الى الشعر العربي فهي ان لم تكن مستحيلة فانها على الأقل ، مجازفة توقع صاحبها في مساوىء بتر البيت أو تشويهه أو الزيادة عليه . ومع ذلك فقد عمدنا الى صياغة بعض الأبيات

---

١ — عن مقدمة : التدريب على الترجمة والتعريب .

الشهيرة شعراً عربياً عَروضياً ليظل الموقف الشعري علـى حاله من حيث وقع الموسيقى وتوتر العاطفة واندفاع الخيال .

واذا كنا قد قلّلنا كثيراً من ذلك فلنبقى محافظين على روح النص من جهة ولِتسلمَ طريقة الترقيم من جهة أخرى .

لذلك فان أية زيادة أو نقصان طفيف ، لا ينبغي أن يفسر باكثر من انه طريقة أو وسيلة لا يمكن بدونها أن يضمن المترجم نقل المعنى المطلوب ، والفكرة التي يرمي اليهـا الشاعر ، نقلاً أميناً صحيحاً ليس فيه أي شيء أكثر مما أراد الشاعر أن يقول ، ولا أقل مما قال .

ومهما يكن من أمر فلسنا ندعي الكمال في ما عملنا ، ولكنا – الى هذا – نحسب اننا قد راعينا في هذا العمل الدقيق الشيء الكثير مما يجب ان يُراعى لتجيء الترجمة مطابقة للأصل في معنـاه ومرماه ، وسلامة أسلوبه وبعده عن التقعر والجمود اللذين طالما شوّها عملية النقـل وذهبا ببهائها .

ولنا من حسن تدبر الزملاء اساتذة الأدبين الفرنسي والعربي خـير مشجع ومعـين حين يأخذون عملنا أخذاً ايجابياً رفيقاً ويزودوننا بانطباعاتهم وآرائهم وتوجيهاتهم لنعمل – بكل امتنان – على تلافي النقص في الطبعات القادمة . اما النقد الهدام فيكفيه منا اهمالاً انه يحمل في ذاته عناصر فساده .

المترجمان

المقدّمة

على المسرح :

مثلت هذه المأساة الشرقية لأول مرة في كانون الثاني عام ١٦٧٢ (أو على التحديد في الخامس منه)، وذلك على مسرح « أوتيـــل ده بورغوني » : قامت بدور أتاليد الممثلة الشهيرة « لاشامبليه » ، التي كانت قـــد اضطلعت بدور « بيرينيس ». فاحرزت المسرحية نجاحاً منقطع النظير . غـير ان هذا لم يمنع أصدقاء كورني من توجيه بعض الانتقادات العنيفة للمسرحية . أما راسين ، فبعد أن وطد أركان عرشه الأدبي منذ تلك المشادة المعروفة التي جرت بينه وبين كورني بخصوص مأساة « بيرينيس » والتي تغلب فيها الشاعر على خصمه العجوز، تجنب في ــ مقدمة بايزيد ــ أن يخوض معركة رد لاذع فيحيي بذلك خصومة مرّ عهدها .

ثم مثلت خمساً وعشرين مرة ما بين عام ١٦٧٢ وعام ١٦٩٨ . واستمر تمثيلها ونجاحها في القرن الثاني عشر . كما أحصيت المرات التي مثلتها فيها « الكوميدي فرانسيز » من سنة ١٦٨٠ الى سنة ١٩٥٩ فاذا بهـــا خمسمائة مرة ...

وقد جاءت المسرحيات التركية التي وضعها ڤولتير أمثال « زايير » وعلى الأخص « زيليم » تثبت الى أي حـــد كانت الموضوعات المأساوية التركية تسترعي اهتمام ورغبة الشعراء والجمهور في فرنسا .

المصادر التي استقى منها راسين موضوع مسرحيته وأحداثها :

أخـــذ شاعرنا موضوع مسرحيته من الحوادث التي جرت عـــام ١٦٣٥ في بيزنطية : في تلك الحقبة حكم السلطان مراد الرابع، وكان قد استولى على السلطنة عام ١٦٢٣ على أثر ثورة الجنود الانكشاريين الذين خلعوا عن العرش العثماني أخاه عثمان وقتلوه . وابّان حصاره لمدينة « أريڤان » عام ١٦٣٥ خاف السلطان مراد أن يُخلـــع بدوره فأمر بخنق اثنين من أخوته هما بايزيد وسليمان . ويبدو — حسب رواية المؤرخين — ان شعبية هذين الأميرين كانت من القوة بحيث أن نساء السراي (الحريم) حاولن انقاذهما ، وأن موتهما قد زرع الرعب في قلوب الناس جميعاً . وفيما بعد وأثناء حصاره لبغداد عام ١٦٣٨ نجد مراداً هذا يتخلص كذلك من أحد أخوته الباقين وهو الأمير قاسم . كما يبدو أن أمه السلطانة التي عُرفت بالحزم والدهاء قـــد أسهمت في المؤامرات التي حاكها ابنها ضد أخوته ...

ومن الواضح ان قسوة مراد وعنفه لم يكونا الوحيدين في تاريخ تركيا العثمانية : فالفتن الدامية التي كان مشعلوها يهدفون بها الى اعتلاء العرش لم تكن نادرة في أي زمن يكون للسلطان أولاد عديدون من أمهـــات عديدات اذ يدعي كل منهم بأحقيته وجدارته لاعتلاء العرش . على أن

هذه المؤامرات التي كان الأمراء والوزراء والانكشاريون يدبرونها لم تكن إلاّ لتزيد الطين بلة والفوضى انتشاراً .

أما كيف استقى راسين موضوع مسرحيته من كل هـــذه الحوادث والأحداث ؟ فاستناداً الى ما ذكره الشاعر في مقدمته نعلم ان ذلك يعود الى السيد «دي سيزي» سفير فرنسا في القسطنطينية حتى سنة ١٦٤٤ . ولكن هذا السفير مات سنة ١٦٥٢ فحمل « الفارسُ ده نانتويي » الى راسين « تاريخ بايزيد » عارضاً عليه أن يستمد منه عناصر مسرحية عتيدة .

وهناك مصدر آخر استقى منه راسين عناصر مسرحيته هذه هو : قصة كتبها شاعر مغمور يدعى « سيغريه » استمد حوادثها – بدوره – من رواية « مسيو ده سيزي » المسماة « فلوريدون » .

قيمتها التاريخية : على أن الملاحظ في رواية «سيغريه» هذا أنها جاءت أقرب الى الحقيقة التاريخية من رواية راسين، فبطلته روكسان أكثر شبهاً بالسلطانة – الأم من روكسان راسين الذي تعمّــد إهمـــال بعض الصفات الأخلاقية التي أكسبت مسرحية فلوريدون غِنى أقوى باللون المحلي الشرقي . ومرد ذلك في رأينـــا الى « شاعرية » راسين وأن جانباً كبيراً من عبقريته يعود الى هذه الشاعرية الملهمة التي تلتمع تَخلـلَ مآسيه كلها . فهو حين يختار أبطاله يعمد الى الأجواء التاريخية البعيدة الغامضة لكي يفسح المجال لشاعريته المجنحة فتنطلق كما يشاء لها الخيال في رحاب الماضي السحيق ، غازية خالقة قادرة .. حتى يبدو لنا

– لأول وهلة – ان التراجيديا – في مفهوم راسين – تستطيع أن تستغني عن التاريخ .. وذلك لعزوفها عن كل شذوذ ولمقدرة راسين على تقريبها من الحياة اليومية . غير ان هـــذا الاعتبار نفسه هو الذي يظهر ضرورة الاعتماد على التاريخ ، وإلا فان هذا التقريب الوثيق بـــين أبطاله وبيننا خليق بان يحرمهم كثيراً من الجمال والسحر اللذين يضفيهما عليهم الماضي البعيد . غـــير أن راسين يتحرى دائماً أن يغمر واقعية أحداث التاريخ بفيض من مفاتن الشعر . وما هكذا فعل كورني الذي اكتفى باللجوء الى التاريخ ليبين فقط امكانية الحوادث . أما راسين فلا تهمه دقة الخبر ولا الوثوق منه . كل غرضه أن يرسم لنا الغرائز والأهواء الإنسانية . لذا كثيراً ما كان يحوّر الحوادث التاريخية ويسخّرها لمصلحة هـذا الغرض على ألا يخرج بعمله هذا على المتعارف بين الناس أو يناقض الفكرة العامة التي نكوّنها عن الموضوع .

فراسين اذن يتناول موضوعاته من التاريخ لسبب أوجه وأسمى من تثبيت الوقائع ألا وهو الشعر . وإن أي موضوع لا يوافق هواه إلا اذا كان فيه وحي شعري وقدرة على خلق جو أسطوري ؛ الى جانب مراعاة الدقة في العمل المسرحي . إن الحقيقة المباشرة قد لا تكون من تلقـــاء نفسها شعرية ، ولكنها تكون كذلك اذا تقادمت عليها العصور وعاشت طويلاً في ضمير الأجيال . كذلك كان اتجاه كتّاب المآسي اليونانية قبل شاعرنا : فقد كانوا يتناولون موضوعاتهم من أساطيرهم وميثولوجياتهم الممعنة في القِدَم . ومن الطريف أن نذكر ان راسين كان على وعي تام لما يفعل ، كما تدل على ذلك مقدمته لبايزيد . واذا كان قد اختار موضوع

مأساته هذه من تاريخ قريب لم يُعتّق بعد فلأن « بُعْدَ البلاد العثمانية يعوض من دنو الزمان .. » كما يقول . وهذا البعد لا يقتصر على المكان فحسب بل يتعداه الى الأمزجة والتقاليد والعادات : انه البعد ما بين الأمة الفرنسية والأمة العثمانية في القرن السابع عشر .

غير أن أصدقاء كورني ـ وعلى الأخص ـ «روبينه» و «دونو ده ڤيزيه» ظلوا يصرون على توجيه الانتقاد نفسه الذي وجهه كورني . وهو : « ان أتراك راسين فرنسيون في ثوب تركي .. » مما دفع بشاعرنا الى أن يرد عليهم في مقدمته عام ١٦٧٢ بما يلي : قد يستغرب بعض الناس تمثيل قصة تشتمل على حوادث معاصرة . ولكن بُعد المكان الذي وقعت فيه الحوادث عن المكان الذي تمثل فيه يسد غالباً في نظر الجمهور مسدّ بعد الزمان . ولهذا لا ضير على مؤلف فرنسي أن يكتب رواية معاصرة قد حدثت حوادثها في تركيا مثلاً ؛ فان اختلاف الأتراك عنا في عاداتهم وتقاليدهم وزيّهم يجعلنا ننظر إليهم ، ولو كانوا معاصرينَ لنا ، نظرتنا الى أقوام من عصور سابقة للعصر الذي نعيش فيه . ولذلك لم يجد الشاعر الإغريقي أسخيلوس أية صعوبة في أن يظهر على المسرح الأثيني أتوسّا أم أحشويروش التي ربما كانت لا تزال على قيد الحياة وقت تمثيل الرواية التي ظهرت فيها . وفضلاً عن ذلك فان اسخيلوس هذا قد حضر بنفسه معركة سالامين التي انتهت بانهزام احشويروش ، كما شهد اندحار قواد داريوس والد احشويروش في سهل ماراتون ؛ ولا غرو فقد كان اسخيلوس رجل حرب وقتال الى جانب كونه رجل أدب ومسرح .

ثم أن المستندات والمراجع التاريخية لم تكن تنقص راسين فقد طلبها في مظانها وأطلع عليها فاستطاع أن يضفي على مسرحيته الجو السياسي للامبراطورية العثمانية في أوائل القرن السابع عشر : ذلك الجو المشحون بالتآمر والفوضى والاستبداد بحيث ان السلطان الذي يملك حق الحياة والموت ويوقعه في من يشاء حتى في أي أمير من أمراء عائلته ، كان معرضاً هو بدوره لأن تطيح بنظامه ثورة يقوم بها الانكشاريون . ولقد كان يبلغ الأمر بالسلطان حد الاقدام على ذبح جميع أفراد حرسه الموكلين بالحفاظ على حياته وحمايته من اطماع خصومه ومنافسيه . فهناك في السراي حشد هائل من جميع أنواع النزوات والأطماع : فمن تعطش شديد الى السلطة ، إلى احقاد شخصية وتغاير غرامي وخصومات ظاهرة ومستترة بين الأمراء والوزراء والنساء ورجال الدين .. كل ذلك من أجل إشباع تلك النزوات والاطماع .. أما في خارج القصر فقد كانوا يثيرون عواطف الشعب ويغذون تعصبه الديني بشتى الوسائل .

تلك هي اللوحة العامة التي ترتسم فيها ظلال ومعالم مأساة بايزيد . فاذا كان أصدقاء كورني لم يكتشفوا فيها غير الأخلاق والسمات الفرنسية فهل لنا أن نستنتج من ذلك أن الخصومة الأدبية أعمتهم عن رؤية حقيقة هذه المأساة ؟ اذ كيف يمكن لنا — في الواقع — أن نتكلم عن السراي الكبير دون أن نشير الى تعدد الزوجات عند السلاطين الذي هو علة كل ما يحدث من مؤامرات في ذلك السراي ؟ أو كيف لنا ان نتصور اجتماع روكسان وبايزيد وأتاليد وحكمت خارج الحريم : ذلك المكان المقدس المحظور ؟ ثم ان الزواج الشرعي الذي تطمح اليه روكسان المحظية معمول به في

الاسلام وهو من حقوقها الانسانية التي تجعلها تسعى جاهدة لتحقيقها وتحرير نفسها : فالصراع بين روكسان المحظية وبين أتاليد الأميرة يشبه الصراع الذي يمكن أن ينشب في بعض البلاطات في الغرب بين محظية وأميرة ، وقد نشب فعلاً : ففي قصر « فونتنبلو » اغتالت ملكة السويد كريستين في العاشر من تشرين الثاني عام ١٦٥٧ عشيقها «مونالديش» بعد ان أظهرت له بعض رسائل كان قد كتبها دامغة إياه بخيانته لها فيها .

واذا كان هناك موضوع يسمح لراسين بان يتصرف حتى آخر حدود التصرف بفن « وحدة العمل » وشروطه ومفهومه للطبائع فهو موضوع مسرحية بايزيد بالذات : ففي هذه المأساة يظهر الأبطال دائماً وهم سجناء الشَرَكِ نفسه : منهم من هو سجين ارادة المسيطر عليه ، ومنهم من يسيّره القَدَر أو تقوده الأهواء : اذ يكفي لأحدهم أن يتخلص من هذا المحور المشؤوم حتى ينجو الجميع ، ولكنه لا يستطيع لأنه لا يريد أن ينجو بنفسه وانما يصر على البقاء في حلبة الصراع حتى تحدث الكارثة ..

فأي مكان أكثر ملاءمة لمأساة كهذه غير السراي المغلق من جميع جهاته : كل خطوة تراقب ، كل نَفَس يحصى ، كل شيء يحف به الخطر ويلفه شبح الموت ؟ !

ولقد وردت عبارة في مقدمُة راسين لطبعة سنة ١٦٧٦ يفهم من خلالها ما قصد اليه الشاعر وما نوى أن يجسده : « في الحقيقة هل هناك بلاط في العالم لا يحتشد فيه جميع أصناف الأهواء: من غَيرة وحب وحسد وتنافس حيث يكثر الخصوم والمتنافسون » ؟

خصائص الأبطال : يلاحظ لأول وهلة الصلة التي تربط بين الأبطال الرئيسيين في المسرحية وبين أبطال راسين الآخرين :

فروكسان يمكنها أن تأخذ مكاناً الى جانب هرميون وفيدر. ولأتاليد كذلك سمات جيني ومونيم وأريسي . أمـــا بايزيد فهو يذكرنا ببريتانيكوس وهيپوليت .

غير اننا نلاحظ – في مأساة بايزيد – خصائص نفسية مرتبطة بالصورة العامة – وهي خصائص اصطلاحية عرفية بلا شك – أراد راسين ان يحافظ بها على شرقية مأساته .

روكسان : حين تلقت روكسان من مراد السلطات الكاملة أصبحت هي السلطانة المطلقة على السراي أثناء غيابه خارج البلاد . ومن الواضح انه ما من بطلة راسينية أخرى مارست مثل هذه السلطة . واذا أضفنا الى ذلك طموح روكسان – هذه الجارية القديمة – نجد ان أطماعها – في المسرحية – لا تقف عند حد ولا تنتهي الى غاية : فهي ترى ان مراداً قد أذلها حين لم يتزوج منها. لهذا فهي تسعى الى ان تمارس سلطتها للأنتقام ممن منحها هذه السلطة . ولكن . أ كان يمكن لها أن ترضى – عن طيبـــة خاطر – بأن تدعم خطة حكمت للاطاحة بمراد لو أنهـا لا تحب بايزيد ؟ لذا فنحن نراها تلجأ على الدوام الى سلطتها المطلقة وبشكل محموم : فهي تصدر أوامرها تباعاً حتى تبدو وكأنها لا تريد أن تعترف للآخرين ولا لنفسها بان رغبتها في السيطرة تحول بينها وبين عاطفتها الأخرى : حبهـا العميق لبايزيد .. هذا الحب يبدو غريزياً وبلا وعي ، والقلق الذي يثيره

في روكسان يظهر في تناقض الأوامر التي كانت تصدرها : فهي تارة تأمر الحرّس باعتقال بايزيد (الفصل الثاني – المشهد الثاني) ولكن قرارها يبقى بلا تنفيذ .. ثم نراهــا تعيد اليه سلاحه وحريته الكاملة (الفصل الثالث – المشهد الرابع) .. ثم تعود الى اعتقاله ثانية .. إن روكسان تدرك تماماً ضعفها هذا الذي يجعل منها إنسانة واهنة عاجزة ، ومع ذلك فهي ترفض – بتهور أعمى – أن تصدق ان باستطاعة بايزيد مقاومتها حتى النهاية . حقاً ان سذاجتها لمدهشة . واننا لنتساءل : لماذا تؤجل المرة بعد المرة تلك اللحظة التي ترضخ فيها للحقيقة ؟ لعلها تحاول ولو – بينها وبين نفسها – أن تؤخر تلك اللحظة ما استطاعت : لحظة الاعتراف بالهزيمة . كما نلاحظ انها كلما اقتربت من الهزيمة احتد كبرياؤها الجريح واحتدم : فالغيرة تثير فيهــا شهوة القتل والشهوة لا تفتر لحظة ، انهــا في تطور تصاعدي نحو المصير الرهيب .. ذلك ما نجده دائماً عند أبطال راسين حين يبرزون قبيل نهايتهم وحوشاً كواسر أمام غاياتهم ونزواتهم . وهذه هي روكسان قبيل – نهايتها – تمضي في عنف بربري لتهيء نوع العذاب الذي ستسوم به غريميها العاشقين . فهل تراها – بعد تنفيذ جريمتها – تخضع لتوبيخ الضمير أم تراها تصحو على فعلتها ؟ كلا ! إن راسين يجعلها تختفي وهي في أوج ثورتها (الفصل الخامس – المشهد السابع) ؛ فلم تندم كما ندمت فيدر ولم تنتفض تحت وخز الضمير كما انتفضت هرميون حينما صرخت في وجه أورست : «من قال لك ذلك؟»[1] لقد سمحت البطلة التركية

---

١) أنظر ترجمتنا لأندروماك

لراسين أن يُظهر الى أي مدى تستطيع العواطف والأهواء المشبوبة أن تقود الإنسان الى حيث يتنكر الحب لعاطفة الشفقة والحنان فيه : الى حيث ينغلق الضمير انغلاقاً أمام الخوف من الخطيئة .

أتاليد : أما أتاليد فتمثل شخصية مغايرة لشخصية روكسان : فحبها لبايزيد نما وترعرع في خضم الشقاء . ولكي تصون هذا الحب المهدد على الدوام عرفت كيف تحرص على كتمانه . ثم لم تكتف بهذا الكتمان، الذي هو عند راسين الضمانة المتعارفة عند الأميرات المستسلمات لمصيرهن، فزادت أن خدعت روكسان لتنقذ حبيبها بايزيد ولكنها لم تُزِلْ الغشاوة عن عيني حكمت الذي كان يمني نفسه بها . وشاءت ـ كما هي الحال في ذلك السراي حيث يسود الكذب والنفاق والخبث ـ أن تكون أكثر خبثاً وتحايلاً من غريمتها فأوصت بايزيد أن يطيل أمد غموضه مع روكسان ؛ وكانت تدرك بلا ريب ان خداعها هذا لا يتلاءم كثيراً مع مجدها[1] ففكرت في أن تضحي بنفسها حتى تمكن لحبيبها من أن يعيش ويسود .

بيد أن هذا الدافع النبيل يتحطم حالما تتصور ان بايزيد يوشك أن يصبح زوجاً لروكسان .. عند ذلك بات الخوف من أن تكون مخدوعة يتملكها ويقض مضجعها . وهكذا أثارت بالرغم منها كارثة كانت تخشاها وتحذرها : لقد أسهمت في هيجان العواطف المتأججة التي كانت تعصف بالقصر فبدت بهذا أقلّ طهراً وبراءة من جيني وموتيم أو آريسي والرصانة

---

١) أنظر البيت رقم ٧٧٠ .

التي استعادتها حين قدّمت الى روكسان اعترافها وتضرعت اليها متوسلة بأن تنقذ لها حبيبها ، هـــذه الرصانة جاءت متأخرة واصطدمت بعزم السلطانة الحقود .

ومن عادة راسين أن يترفق في اللحظة الحاسمة بالأميرات التاعسات في مسرحياته . غير أنه في هذه المأساة يهيء لأتاليد مصيراً آخر يختلف عن مصائرهن . فبانتحارها تقتص أتاليد من نفسها مؤمنة بأن هذا هو الجزاء العادل لجريرتها . ولكنها اذ تضع على عاتقها وحدها مسؤولية المصير الرهيب يبدو أنها لا تريد أن تعترف بالسبب الحقيقي ليأسها : ذلك أنهــا بفقدانها لبايزيد تفقد كل ما يصلها باسباب الحياة . إلا أن التبرير الأخلاقي الذي تقدمه لانتحارها غير مقبول ، اذ بالرغم من انهــا ضالعة في الذنب فان موتها لا يبدو عادلاً ، كما يبدو أكثر قساوة من موت هرميون أو فيدر اللتين باتخاذهما السبيل الوحيد القادر على وضع حد لآلامها تجدان — في الوقت نفسه — العقاب العادل لجريمتها ..

بايزيد : أما فيما يختص بمزايا وخصائص بايزيد فقد كانت — على الدوام — موضوع نقد شديد. فهذه مدام ده سيڤينييه تحكم عليه « بالبرود » وڤولتير يجده مزيفاً .. والنقد الحديث — وهو عادة أقل رحمة بأمراء راسين الشبان الظرفاء والتافهين أحياناً — لم يكن رحيماً كذلك ببايزيد. ولكن أيمكن لنا الاستنتاج مع « ف. سرسيه » بأن بايزيد ليس سوى ذلك «الأحمق الجليل» ؟ غير ان راسين يؤكد أن بايزيد «يحافظ بخصائصه على عنف أمته وتشددها » . وفي حين يتحدث المؤرخ « دي ڤردييه » عن

بايزيد الخـالي من كل صفات الرجولة والعنفوان يجعله الشاعر بطلاً باسلاً بالرغم من قيده وسجنه وإدراكه التام للمصير الرهيب الذي يتهدده . ثم هل بمقدورنا أن نلوم بايزيد على عدم خضوعه لأخيه مراد ، وسعيه الحثيث الى التخلص منه بل وطموحه للحلول محله في السلطنة والانتقام منه ؟ فمنذ البيت رقم ٦٢٩ نجده يقترح على حكمت الحل الخطير الكفيل بانقاذه وهو مهاجمة القصر واحتلاله . ولكن هذا اللجوء الى العنف الذي قد يحسم الأمور بطريقة سريعة وقاسية ، كان يبدو — على الأقل في لحظة تصور بايزيد له — أمراً صعب المنال ومحفوفاً بالمخاطر. إلا أنه حباً بالحياة وبالحكم أنزل نفسه منازلَ صعبة وتورط في الاشتراك بالمؤامرة وأصبح ضالعاً في خلق « الموقف الغامض » الذي دفعته اليه عاشقتان متيمتان تسيطران عليه وتملكان مصيره. ولقد كان بوده لو يخرج من هذا الشرك معلناً حقيقة موقفه ومشاعره . ولكن كيف يمكن له أن يصارح روكسان بها دون أن يخسر أتاليد ودون أن يتخلى عن أطماعه ومراميه ؟ ولذا بقي حتى النهاية — مدفوعاً باخلاصه لأتاليد — سجينَ وعدٍ مبهم غامض النتائج أُرغم على التعهد به : ففي المشهد الخامس من الفصل الثالث أسمعَ رفضَه لروكسان بصورة لبقة وبطريقة غير مباشرة . ولكن تصرفاته تجاهها خانته أكثر مما خانه نطقه ؛ وفي المشهد الرابع من الفصل الخامس يحاول أيضاً إقناع روكسان بانه لم يكن بوسعه التصرف حيالها بغير ما تصرف به . أما الذين طعنوا بايزيد في أخلاقه وشخصيته فربما كانوا يتخيلون أن يروه صارخاً في وجه روكسان : انه لا يحبها وانه ما أحبها قط.. ولكن هذا هو بالذات ما لم يُرده راسين . فهذا الأمير الكريم الشجاع الذي كان

بوده أن يخرج من حالة الذهول التي هو فيها بعمل باهر ، يبقى مشلولاً عديم الحركة مُكرهاً على المسكنة والضعف بدافعٍ من عواطفه وأهوائه ونزوات حبيبته وأهوائها .

حكمت : مما لا شك فيه ان حكمت ليس هو ذلك النموذج الأول في المسرح الكلاسيكي لأولئك السياسيين الذين لا يحسبون حساباً إلا لأطماعهم ومطامحهم . فهو يتخذ من نزوات الآخرين وعواطفهم مطية لتحقيق مآربه الشخصية . إنه يزدري عاطفة الحب ازدراءه لأي مظهر من مظاهر الضعف . ولقد ارتكب خطأً فاحشاً أفسد عليه كل خططه حين لم يلاحظ أن أتاليد كانت تحب بايزيد ، ذلك لأنه هو نفسه كان مشغول الفكر بحب آخر هو حب السلطة . إن سفيري كورني « كفلامينيوس» في مسرحية نيكوميد و « أورونت » في مسرحية « رودوغين » قد تذرعا بسلامة الطوية ، وانهما كانا بعملهما ذاك يخدمان مصلحة الدولة . وحتى عند راسين نفسه فان نرسيس الذي بات فريسة مطامحه كان يدرك أنه حين دفع بنيرون الى الجريمة يرتكب شراً كبيراً . غير ان الأمر يختلف بالنسبة لحكمت : فالبارز في خصائصه هو ذلك النوع من اللاشعور في استهتاره كما لو أنه لم يكن يساوره أي شعور بمراعاة القيم الأخلاقية التي لم تخطر بباله قط حين صمم على تنفيذ خططه السياسية .

ومهما يكن من أمر فان العواطف والأهواء التي تحرك أبطال مأساة بايزيد لا تختلف عن تلك التي تبرزها المآسي ذات الموضوعات اليونانية أو الرومانية . ولكن المأساة التركية سمحت للشاعر أن يحلل هذه الأهواء

والعواطف في حالات صفوها وهدوئها ، وبمظهرها البدائي ناظراً اليها على أنها أهواء وعواطف شعب بربري كما كان يعتقد .

أسلوبها : كان أسلوب راسين في بايزيد مثار خيبة أمـل عند مقدّريه والمعجبين به ، وحتى بوالو نفسه الذي كان يغدق الثناء عليـه اكتشف في مأساته هذه بعض اهمال وقلة عناية في حين أن الشاعر كان قد ارتقى في مأساة « برينيس » بالأسلوب المأساوي الى أسمى ذروات الجمال والكمال . ذلك هو رأي النقاد قاطبة الذين وازنوا بين المسرحيتين ففي برينيس نجد صراع العواطف متجسداً في صور جزينة فخمة الإطار مهيبة التهاويل ، موحداً بين ما ينطق به كل من برينيس وانطيوخوس وتيتوس . أما في بايزيد فالأسلوب مختلف تماماً : فنحن نجد في هذه المأساة الشرقية حيث تتضارب أهواء الأشخاص من جهة وحيث يتناقضون مع أنفسهم من جهة أخرى ، ان الأسلوب يتخذ صورة هذا التناقض والقلق اللذين استوليا عليهم . مما سهل على غلاة اللغويين اكتشاف بعض الأبيات الغامضة في هذه المسرحية (كالأبيات رقم ٦٤٢ و ٨١٧ و ١١٥٢) . ولكن هذا الغموض أخفى تحته غموض العواطف وارتباكها . ففي الواقع كان هناك تناقض صارخ بين حكمت وعجرفته الواثقة من نفسها والمتبجحة أحياناً كثيرة وقلق روكسان وجزعها من جهة ، وبين غيظها المكظوم وحيرة بايزيد من جهة ثانية . على أن عدم الانسجام والتناقض هذين موجودان في صميم كل دور : فالفترات التي يستريح فيها البطل نادرة جداً فلا يمكنه والحالة هذه أن يجد العبارات الملائمة التي تعكس اصالة طبيعته وحقيقة أعماقها وأبعادها . وعندما يرى حكمت ان نصره أصبح مؤكداً

(الفصل الثالث – المشهد الثاني) ، وعندما يجد بايزيد نفسه حر التصرف (الفصل الثالث – المشهد الرابع) ، وعندما تعتقد روكسان أنها باتت منتصرة (الفصل الثالث – المشهد الخامس)، وعندما تُظهر أتاليد غيرتها أمام روكسان معلنة تقديم نفسها قرباناً (الفصل الخامس – المشهد السادس) : عند ذاك فقط نشعر بأن كل بطل وَجَدَ – الى لحظات – الفرصة التي تسمح له بأن يعبر بكل حرية عما يجيش في صدره ، ولكن سرعان ما يتحول الأسلوب المسترسل الى أسلوب مضغوط متعثر وخشن يتخذ تدريجياً صورة القلق والأضطراب اللذين يسيطران على هذه المأساة الشرقية الحافلة المكهربة دائماً بأجواء التآمر والتحاسد والخداع .

المترجمان

الشخصيّات الرئيسيّة

	ما هم عليه	ما يريدون	ما يفعلون
روكسان	محظية مراد الرابع . مكلفة من قبله بقتل أخيه وسجينه بايزيد ، غير انها تحبه . تجهل حب بايزيد لأتاليد	ان تخلع مراداً وتتزوج من بايزيد لتصبح زوجة السلطان .	تتآمر مع الوزير حكمت لصالحها . تخفق في حبها لبايزيد . تُقتل على يد «أركان» .
بايزيد	سجين أخيه السلطان مراد . يحب أتاليد سراً .	ان ينقذ نفسه من الموت ليتزوج من أتاليد .	يرفض الزواج من روكسان فيُقتل بأمر منها .
حكمت	وزير مراد الرابع . يحب أتاليد . يجهل ان بايزيد يحبها	يطمح الى ان يصبح زوجاً لأتاليد لأنها من دم عثماني	يتآمر لخلع مراد عن العرش لصالح بايزيد . يفشل في تآمره فيلوذ بالفرار .
أتاليد	أميرة عثمانية . تحب بايزيد سراً	ان تنقذ بايزيد من الهلاك بزواجه من روكسان .	تنتحر عندما تعلم بقتل حبيبها

أشخاص المسرحية

بايزيد	أخو السلطان مراد[1]
روكسان	سلطانة ومحظية السلطان مراد
أتاليد	أميرة متحدرة من دم عثماني
حكمت	كبير الوزراء
عثمان	كاتم أسرار كبير الوزراء
زاتيم	جارية السلطانة
أزاهير[2]	جارية أتاليد

تجري الحوادث في قسطنطينية

في قصر السلطان

---

١) وهو السلطان مراد الرابع .

٢) أضفنا الهمزة والهاء لاعتقادنا بأن الاسم « زايير » هو تحريف لاسم العلم المؤنث الشرقي : أزاهير .

الفصل الأوّل

المشهدُ الأول

حكمت — عثمان

حكمت : — هيا اتبَعْني . إن السلطانة ستأتي الى هنا[1] .
يمكنني أن أحدثَك — ريثما تأتي — وأن أصغي اليك .

عثمان : — ومتى كان يُسمَحُ بالدخولِ الى هنا يا سيدي ،
ألا تعلم ان ذلك محرم حتى علينا ؟
إن هلاكاً صاعقاً كان في الماضي جزاءَ مِثْل هذه
الوقاحة . ٥

حكمت : — عندما تُلِمُّ بكلِ ما يجري ،
فسوف لا يفاجئُك دخولي الى هذه الأماكن .
ولكن لنتنكبْ الفضولَ[2] أيها العزيز عثمان .
فكم كنتُ أنتظر عودتَك بفارغِ صبر !

١) الى هنا : أي الى « الحريم » .

2) Discours superflus.

وكم أجدني مُغتبطاً برؤيتِكَ في بيزنطية[١] !   ١٠
هاتِ حدثني عما يمكنُ لرحلةٍ متطاولة قمتَ بها
من أجلي أن تُزوِّدَكَ من أسرار .
حدِّثني كشاهدٍ أمين عما رأتهُ عيناك :
فكِّر يا عثمان بأن على ما ستَرويه لي
يتوقفُ مصيرُ الامبراطورية العثمانية .   ١٥
ماذا شاهدت في الجيش وماذا يَفعلُ السلطان ؟

عثمان : — إن بغدادَ — يا سيدي — الوفيةَ لمليكِها
كانت ترى جيشَنا يُحيطُ بها ولا تُبدي حراكاً ؛
بينما أسرع الفُرسُ المحتشدونَ الى نجدتِها ،
وراحوا يقتربون — كلَّ يوم — من معسكرِ مُراد   ٢٠
وهو نفسُه وقد أُرهقَ من حصارٍ طويلٍ فاشل
بدا عازماً على أن يدعَ بغدادَ وشأنَها ؛
وبدون أن يُعاودَ هجماته الباطلة[٢]
بات ينتظرُ ملاقاةَ الفُرسِ مصمماً على محاربتهم .
ولكن — كما تعلمُ — وبالرغم من سرعتي ،   ٢٥
هناك طريقٌ طويلٌ يُباعدُ بين المعَسكر وبيزنطية ؛
لقد تخطيتُ مئاتِ العقباتِ المختلفة
وبامكاني أن أنسى كلَّ ما جرى .

---

١) أي في القسطنطينية .

2) Assauts impuissants

حكمت : — ماذا كان يصنع ـ أثناءَ ذلك ـ جنودُنا الانكشاريون[1]
البواسِل ؟
هل رأيتهم يقومون للسلطان بواجب الولاء والوفاء ؟ ٣٠
ألم تستَقرىءْ خفايا قلوبهم يا عثمان ؟
وهل يتمتّع مراد بسلطةٍ مطلقة عليهم ؟

عثمان : — قد يداخل مراداً سرور عظيم لو أردنا أن نصدّق ذلك،
اذ يبدو مَنَسّياً نفسَه بنصرٍ مبين[2] .
ولكن عبثاً يعتقد أنه يخدُعنا بهذا الهدوء ؛ ٣٥
فهو يتظاهرُ بطمأنينةٍ لا يستطيع الاستمتاعَ بها .
ورُغمَ سيطرتِه على شكوكه المعهودة ،
فهو لا يكاد يحظى بودّ جميعِ الانكشاريين :
إنه يتذكر دائماً أن كُرْهَه
دَفعَه الى استئصالِ شأفةِ نصف هذا الجيش الكبير، ٤٠
ولما صمّمَ أن يوطّدَ سلطتَه الجديدة ،
أراد — حسب زعمه — أن يتحرّر من وِصايتهم .
أنا نفسي سمعتُ مراراً نِقاشَهم ؛
فكما أنه دائم الحذر منهم كذلك هم منه ؛
وما كان لتزلفه لهم أن يمحو تلك الإهانة أبداً . ٤٥
فغيابُك بات لهم موضوعَ تساؤلٍ وهمس :

1) Janissaires. 2) Heureuse victoire.

انهم يتحسرون على زمن تمادى في تقدير بسالتهم
فحين كانوا يحاربون تحت إمرَتِكَ كانوا واثقين بالنصر.

حكمت : — ماذا ؟ أتظنُّ أيها العزيز عثمان أن مَجديَ الغابرَ
لا يزالُ يُدغدغُ بسالتَهم ويعيش في خواطرهم ؟ ٥٠
أوَ تظنُّ أنهم ما بَرحوا يتبعونني برضًى ورَغبة ،
وأنهم يتذكرون صوتَ وزيرِهم ؟

عثمان : — إن نجاحَ المعركةِ سيُحدِّد موقفَهم :
يجب أن ننتظر للسلطانِ النصرَ أو الهزيمة .
فهم يا سيدي وإن ساروا في ركابه مُرغَمين ، ٥٥
غير أنهم لن يُفرِّطوا بشهرةِ[1] أمجادهم ،
ولن يخونوا أبداً شرَفاً بَنَته لهم سنونٌ طِوال ؛
ومهما يكن ، فالنجاح رَهنُ المصائر .
ولو أن مراداً المحظوظَ أُعلِنَ مُنتصراً ،
في معاركِ بغداد ، مستعيناً ببسالتِهم ، ٦٠
لرأيتَهم صاغرين له ناقلين الى بيزنطية
مثلاً رائعاً لطاعةٍ ذليلةٍ عمياء[2] .
ولكن اذا أتيح للقدرِ الغلاَّب
أن يَصِمَ في المعركة مملكتَه الناشئة[3] بشيء من العار ،

---

1) Le bruit. 2) Basse obéissance. 3) Son empire naissant.

واذا انهزمَ فلا تَشكنَّ أبداً، حين يفخرون بنقمتهم[1]
عليه ، ٦٥
أن يُتبِعوا الجرأة بالحقد ،
وأن يعلّلوا – يا سيدي – خسارةَ المعركةِ على أنها
حُكمٌ سماويٌ هبط لينتقم من مراد .
ومع ذلك فاذا كان لنا أن نُصدّقَ الإشاعةَ ،
فقد أرسلَ من جيشِه قبلَ ثلاثةِ أشهر ، ٧٠
عبداً مُكلّفاً بمهمة سرّية .
لقد صُعِقَ الجيشُ بأسره وارتعدَ من أجل بايزيد :
كان يخشى أن يكون مرادٌ قد أصدَرَ
أمراً قاسياً يطلبُ فيه رأسَ أخيه .

حكمت : — تلك كانت خُطّتُه : فالعبدُ قدْ جاء ، ٧٥
ثم أبرزَ الأمرَ غيرَ أنه لم يحصلْ على شيء .

عثمان : — عجباً ! بأي عين سينظرُ السلطانُ الى وجهه[2] يا سيدي،
وهو لا يحمِلُ اليه منك امتثالاً لأمرهِ وخضوعاً ؟

حكمت : — لقد مات هذا العبد : إن أمراً قد صدرَ أيها العزيزُ عثمان
فأهوى به الى أعماقِ البحر الأسود . ٨٠

---

1) Disgrâce.

٢) الضمير عائد الى العبد .

عثمان : – ولكن السلطان، حين يُدهَشُ من غيبةٍ متطاولة ،
سيُبادرُ الى معرفة السببِ وبالتالي الانتقام .
فماذا تُراكَ مُجيبه ؟

حكمت : – لعلّني قبل ذلك الوقتِ
سأعرف كيف أُشغِلُه بأمورٍ [1] أكثرَ أهمية .
إنني على يقين بأن مُراداً قد أقسم ليُهلِكني ؛ ٨٥
كما ألحظُ مدى الاستقبال الذي يُعِدُّه لي عند عودته .
فهو لكي يَنتزعَني من قلب جنودهِ ،
تجدُه يسعى من دوني الى فَرض الحصار والمعارك :
وها هو يقودُ الجيشَ ويدعُني في مدينةٍ وادعة
أُمارسُ سُلطةً باطلة ، ٩٠
أيُّ عملٍ ، أي إقامةٍ فيها يا عثمان لوزيرٍ مثلي ؟
غير أني استخدمتُ بجدارةٍ تلك البطالة وذلك الفراغ :
وعرفتُ كيف أهيءُ له جواً من الهمِّ والتّسهيد ؛
وسوف تبلغُ مسامِعَه عما قريبٍ همساتٌ وأقاويل .

عثمان : – ماذا اذن ؟ وماذا تراكَ فعلت ؟ ٩٥

حكمت : – آمل أن يكشفَ اليومَ
بايزيد وروكسان عما في نفسيهما

1) Soins

عثمان : — واعجباً ! روكسانِ التي اصطفاها مُراد يا سيدي
من بين سائر حِسانِ آسيا وأوروبا
اللتين أخلتا بلادَهما منهنّ وملأتا بهنّ قصرَه ؟
يقولون إنها وحدها التي استأثرت بحبه ١٠٠
وحتى انه أراد لروكسان السعيدةِ هذه
أن تتخذ لقبَ سلطانة قبل أن تُنجبَ ولداً .

حكمت : — لقد قدّمَ لها المزيدَ يا عثمان : أراد
أن تتمتّعَ – اثناءَ غيابه – بسلطةٍ مُطلقة .
إنك تعرفُ تقاليدَ سلاطيننا القاسية : ١٠٥
فنادراً ما يدَعُ الأخُ اخوتَه يَهنأون
بالشرف الأرفع لإنتسابهم الى أُرومةٍ
تقربهم كثيراً من مُقامه الخطير .
فابراهيم[1] البليدُ دون أن يتهيّب أصلَه
يقضي طفولةً دائمةً خاليةً من الأخطار : ١١٠
غير جديرٍ بالحياةِ ولا بالموت على السّواء .
إنهم يُسلِمونَه الى أيدٍ تتكفّلُ له بالغذاء .
أما الآخر[2] ، الأشدّ إرهاباً والأكثرُ طموحاً
فيرى بلا انقطاعٍ مراداً مُتأهباً للفتك به .

---

١) أخو مراد الرابع ، وكان في نظر أخيـــه معتوهاً لذلك لم يقضِ عليه كما قضى على أقرب المقربين إليه ...   ٢) أي بايزيد .

ذلك لأن بايزيد يحتقرُ على الدوام ١١٥
حياةَ التميّعِ والبطالةِ[1] التي يحياها أبناءُ السلاطين .
لقد عاشَ ينشدُ الحربَ منذ صِباه
حتى أنه جعل منها — تحت إمرَتي — صناعةً نبيلة .
أنت نفسُكِ شاهدتَه يصولُ ويجولُ في حومةِ الوغى ،
ساحباً وراءه قلوبَ الجنودِ بأسرِهم ١٢٠
مُنتَشياً — وهو مُضَرّجٌ بالدماء — بَلذةِ المجد
التي يمنحُها النصرُ البِكرُ لذَوي القلوب الفتية .
ولكن مُراداً القاسي بالرّغمِ من شكوكه ،
لم يكن ليجرؤ على التضحية[2] بأخيه هذا ، انتقاماً منه ،
قبل أن يُنجِبَ عَقِباً يَحفَظُ به ديمومةَ ملكه
واستمراره ١٢٥
ولا أن يَتسبَّب بقطع الأملِ من الدم العُثماني .
هكذا اذن ترك مرادٌ — حين هدأت سَورتُه —
بايزيدَ سجيناً في السراي ...
ولما كان وفياً لحقدِه فقد ذهب وأراد
أن يجعل من روكسانَ حَكماً قيّماً على حياةِ أخيه ، ١٣٠
بإمكانه أن يغتاله عند أية إشاعة[3]
أو شكوكٍ وبدون أية أسباب .
اما أنا وقد بقيتُ وحدي ، فإن غضباً عادلاً

---

1) La molle oisiveté. 2) Proscrire. 3) Au moindre bruit.

قد وجّهَ أمانيَّ صوبَ أخيه .

تحدّثتُ الى السلطانةِ مخفياً عنها خُطتي ١٣٥

ومُظهِراً لها ان عودةَ مراد ليست أكيدة ،

وان هناك همساً في المُعسكرِ ، كما حدثتُها عن أحوال الحرب ،

ورثيتُ أمامها لبايزيد وأطريتُ لها فتنتَه وسِحرَه

المدفونين في غياهب السّجن

واللذين تجهَلهُما رُغم قربهما من مدى ناظريها . ١٤٠

وبعدُ ، ماذا أقولُ لك ؟ إن السلطانةَ وقد تُيّمت به

لم يعُد لديها من رغبةٍ سوى أن تراه .

عثمان : — ولكن أيمكن لعينيها أن تضلّلا نظراتٍ مريبة عديدة

وتبدو وكأنها أقامت بينهما[1] اسواراً منيعة ؟

حكمت : — لعلك تذكرُ روايةً غيرَ موثوقٍ بها ١٤٥

أشاعتِ الخبرَ عن موتِ مراد ،

وحين تظاهرت السلطانة حيالها بالخوفِ

لجأت الى دعمِ هذا الخبر وتوكيده بصيحاتٍ أليمة .

وراح عبيدُها يرتجفون من تأثيرِ دموعها ؛

---

١) اي بين بايزيد والسلطانة العاشقة . امـــا النظرات المريبة فهي نظرات الوصيفات والخصيان المكلفين بمراقبة العاشِقَين .

واضطربَ حرَسُ بايزيد المحظوظ ؛ ١٥٠
وزعزعتهم الهباتُ عن واجبهم ،
وتجاسرَ أسراهم فتقابلوا في خِضَمِّ هذا الاضطراب .
وهكذا رأت روكسان الأميرَ؛ ولم تستطع أن تكتم عنه
الأمرَ الذي كانت مُكلَّفةً به وحدَها .
لقد بدا لطيفاً معها ؛ اذ كان يرى أن نجاتَه ١٥٥
متعلقةٌ باستمالتِه لها ، وها قد تمَّ له ما أراد..
كان كلُّ شيء يعمل لصالحه : فمحاذيرُهُ ، ومجاملاتُه ،
وهذا السرُّ المُعلَنُ ، وذلك التواطؤ ،
وهاتيك التنهدات التي بقَدْرِ عذوبتها كان كتمُها واجباً
وتلك العقبات المكدِّرة التي حالت دون تلاقيهما ١٦٠
حتى ذلك التهور والمخاطرَة والمخاوف المشتركة ،
كلُّ هذا هو الذي جمعَ – والى الأبد – بين قلبيهما
ومصيريهما ..
وحتى أولئك الذين كُلِّفوا بمراقبتهما ،
وخرجوا عن واجبهم ، لم يجرُؤوا على العودة اليه .

عثمان : – ماذا؟ أتجرؤ روكسان على إظهارِ حبها أمام أعينهم ، ١٦٥
وقد كشفتْ لهم باديءَ الأمرِ عن نفسِها ؟

حكمت : انهم ما زالوا يجهلون ذلك ، وحتى هذا اليوم ،
يَظنون ان أتاليد تحلُّ محلَّ روكسان في هذا الحب .

إن أتاليد هي ابنةُ عم مراد ؛
وحتى انها قاسمت أباه حنوَّه وعطفَه على بنيه ، ١٧٠
كما شهدتْ طفولتها تترعرعُ مع طفولتهم .
فهي تتظاهرُ بتلقي رغبات الأمير[1] وأمانيه ؛
بيد أنها تتلقاها لتنقلها الى روكسان ،
ولا يُضيرُها أن يتستر باسمها حين يُحب السلطانة .
ومع ذلك فلكي يستعينا بي أيها العزيز عثمان ، ١٧٥
فقد جعلا — كلاهما — من أتاليد عهداً لي وميثاقاً .

عثمان : — عجباً ! أو تحبها أنت يا سيدي ؟

حكمت : — أتريدُ لي وأنا في مثل هذه السِّن
أن أمارسَ صناعةَ الحبِّ المُهينة ؟
وأن يسير قلبي الذي أرهقَتْه المشاغلُ والأيامُ
في ركاب دَعوات مُتهوِّرة للذةٍ باطلة ؟ ١٨٠
انها تستحوذُ على إعجابي بمفاتنَ أخرى :
أُحب فيها السُلالة العريقة التي تحدَّرَتْ منها .
فعندما أصهرُ لبايزيد
أضمنُ لنفسي مركزاً منيعاً شاءَ أم أبى .
فالسلاطين كثيراً ما يظنون بوزرائهم الظنون ؛ ١٨٥

---

[1] اي بايزيد .

فما إن يختاروهم حتى يخشَوْا أعمالهم .
إن ثرواتِنا[1] ملكٌ لهم يريدون أن يَرثوها عنا ،
فأحقادُهم لا تدَعُنا نضعفُ أمامَهم أو نخور .
إن بايزيد ليُكرِمُني — اليومَ — ويجاملني ؛
ومخاوِفه توقظ — كل لحظة — مشاعرَ العطف فيه : ١٩٠
على أن بايزيد ، إياه ، حين يُرسّخ أقدامَه على العرش ،
قد يتنكرُ لصديقٍ مثلي لا نفعَ فيه ولا غناء .
أما أنا فاذا لم يُوقِفْه وفائي وعهدي عند حدّه
واذا تجاسرَ يوماً وطلبَ رأسي ...
أراني لا أحسِنُ التعبيرَ يا عثمان...غير اني أقول: ١٩٥
إن عليه — في الأقل — أن ينتظر طويلاً .
إنني أعرف كيف أؤدي للسلاطين خدماتٍ أمينة ؛
أما نزواتُهم وأهواؤهم[2] فأتركُ أمرَ تقديسها للدهماء ،
ولستُ مُتهيباً أبداً وساوسَ حمقاء[3]
فأبارك موتي حينما يُعلِنونَه . ٢٠٠
وبما أن روكسان قد لاحت لعيني أخيراً ،
فذلك اذن هو ما يسمحُ لي بارتياد هذه الأماكن
كانت تستمع اليّ باديء الأمر من وراء حجاب .
اذ كانت تخشى قوانينَ « الحريمِ » الصارمة ؛

---

1) Dépouille. 2) Caprices. 3) Scrupules insensés.

بيد انها أخيراً، وقد طرَدَتْ هذا الخوفَ الثقيل، ٢٠٥
الذي كان يُلقي كثيراً من الحرَجِ على أحاديثنا ،
اختارت هي بنفسِها هذا المكان القَصِيّ ،
حيث راح قلبانا يُناجيان عيوننا بحرّيةٍ وأمان .
لقد قادتني جاريةٌ في دهليزٍ مُظلم ،
ثم ... ولكن هـــا هما قادمان : انها هي وعزيزتها
أتاليد ٢١٠
إبقَ هنا ؛ وكن مستعداً — اذا لزم الأمرُ — لتؤيّدَ
الخبرَ الهامّ الذي سأطلعها عليه .

★

المشهد الثاني

روكسان — أتاليد — زاتيم — أزاهير — حكمت — عثمان

حكمت : — ان الحقيقةَ — يا سيدتي — تنطبقُ على ما ترامى الينا .
لقد رأى عثمان السلطانَ والجيش .
غير ان مراداً المتغطرس[1] يبدو دائمَ القلقِ والحيرة ٢١٥
فالقلوبُ بأسرِها تهفو — على الدوام — الى بايزيد :
فهي تستصرخه بصوتٍ واحدٍ أن يعتلي العرش .
وبينما كان الفرس يزحفون نحو بغداد
التقى الجيشان أمامَ أسوارِها
وكان عليهما أن يُقدِّرا بسرعةٍ مخاطرَ المعركة . ٢٢٠
اذ عليها تتوقفُ — كما قيلَ — مصائرُنا ؛
حتى ولو رُحتُ أُحصي لعثمان الفراسخَ التي قطعها
فان العنايةَ الإلهية تكونُ — أثناء ذلك — قد
حَسَمتِ الأمر .

1) Le superbe.

أما السلطانُ فقد يكونُ الآن إما منتصراً أو مولّياً
الأدبار .
لنُظهِرْ أمرَنا يا سيدتي ولنخرجْ عن صمتِنا : ٢٢٥
لنوصدْ في وجهه منذ اليوم أبوابَ بيزنطية ؛
ودونَ أن نتسقّطَ أخبارَ نصرِه أو هزيمتِه ،
ألا صدّقيني ؛ ولنُسرعُ في تداركِ عواقبِ الخبر .
على مَ تُحاذرين اذا ما انهزم ؟ أمـــا اذا كان العكسُ
وانتصر ،
فان النصيحةَ الأسلمَ لنا هي الأسرَعْ . ٢٣٠
إنكِ لتودّين أن تُحرِّري من سلطتِه
شعباً يتهيأ لإستقبالِه بينأسوارِ مدينته ،ولكنهيهات !
أما أنا فقد سبقَ وتوَصَّلتُ بدسائسي الخفية
الى أن أستميل لقضيتنا علماءَ الدين الأجلاّء :
إذ أنني أعرفُ كيف يُسرعُ الشعبُ الساذجُ
المؤمنُ ، ٢٣٥
في اتباعِ أوامرِ الدين ونواهيه .
فاسمحي لبايزيد أن يرى أخيراً نورَ الحرية :
إشرعي له حواجزَ أسوارِ هذا القصر ؛
وارفعي باسمه عالياً هذا العلمَ النذيرَ[1] ،

---

١) وهو راية المسلمين التي كان شعارها «نصر من الله وفتح قريب». انتهت الى سليم الاول (والد سليمان القانوني) من آخر خليفة عباسي . وقد كان رفعُها عالياً نذيراً بخطر الحرب ، فيبادر أتباع السلطان الى سلاحهم فوراً ..

الذي هو الإشارةُ الشهيرةُ للأخطار الكبيرة . ٢٤٠
أما وقد وقفت الشعوبُ علىحقيقةِ هذا الاسمالمفضَّل[1]
فهي تعرفُ أن فضيلتَه هي جريمتُه الوَحيدة .
ثم ان هناك إشاعةً مبهمة أكدَتها مساعيَّ
توْهِمُ ـ لحسنِ الحظِ ـ هذا الشعبَ الخائفَ علىمصيره ،
أن مراداً يزدريه ويريد أن ينأى ٢٤٥
بعرشِه بعيداً عن بيزنطية بعد اليوم .
فلنُعلنْ عن الخطرِ الذي يتهددُ أخاه :
لنبرِزِ الأمرَ القاسي الذي وُجِّه إلينا ،
ليكشِفْ بايزيد هو أيضاً موقفَه وليُعلنْ عن نفسه ،
وليُظهرْ أن جبينَه هذا جديرٌ بتاجِ السَّلطنة . ٢٥٠

روكسان : — كفى . سأقوم بكل ما وعدتُ به .
هيا أيها الباسل حكمت واجمع أعوانَك ؛
ووافني بكل مشاعرِهم وميولهم .
وأنا سأحملُ اليك بنفسي جواباً سريعاً شافياً .
سأجتمعُ ببايزيد ولن أزيد ، ٢٥٥
قبل أن أعرف اذا كان قلبُه يهواني أو لا .
إذهبْ وعُدْ اليَّ .

---

١) اي اسم بايزيد .

المشهد الثالث

روكسان – أتاليد – زاتيم – أزاهير

روكسان : — وبعدُ أيتها الفاتنةُ أتاليد ،
فان على بايزيد أن يُقرِّرَ مصيرَنا .
سأبحثُ معه الأمرَ للمرة الأخيرة :
وسأعرفُ اذا كان حقاً يهواني . ٢٦٠

أتاليد : — هل لكِ أن تشتكي الآنَ يا سيدتي ؟
بادري الى اتمامِ مُهمتك[1] .
لقد سمعتِ حديثَ الوزير ؛
إن بايزيد لأثيرٌ لديكِ فهل أنتِ على يقين
مِن أن حريتَه وحياته ستبقيانِ – في غدٍ – رهن يديك ؟
ولربما كان مراد – في هذه اللحظات – يُقدِمُ وهو هائجٌ ٢٦٥

1) Ouvrage.

على وضع حدٍ لحياة هي مثالُ الكرامة والوفاء[1] .
ولِمَ يُساورُكِ اليومَ الشكُّ في مكنوناتِ صدره ؟

روكسان : - ولكن هل تؤكدين ذلك أنتِ التي تتحدثين باسمه ؟

أتاليد : — ماذا ؟ ان اهتمامه[2] الذي بذله يا سيدتي من أجل مَرضاتِك ،
وما فعلتِه ، وما يمكن أنْ تفعليه ، ٢٧٠
ثم مجازفاتِه ، وتقديرَه لكِ ، ولمفاتنك[3] على الأخص ،
أليس كلُّ ذلك كافياً لكي تثقي بحبه ؟
تأكدي أن أفضالك[4] تحيا عميقاً في ذاكرته .

روكسان : — واأسفاه ! ماذا يمكنني ألا أُصدّقهُ من أجل راحتي ؟
ولكي أتعزّى فلماذا ، على الأقل ، ٢٧٥
لا ينطقُ الجاحدُ بمثلِ ما يُنسبُ اليه ؟
لقد أحضرته أمامي أكثر من مرة ،
لأتأكد بنفسي من عهدِه ووفائهِ ،
مستمتعةً سلفاً بثقتِك البالغةِ به ،

١) اي حياة بايزيد. وفي هذا المقطع على لسان اتاليد اشارة منها غير مباشرة الى ما يعتمل في قلبها من قلق على مصير بايزيد الذي تكنّ له عاطفة حب عميق لا تجرؤ على البوح بها امام روكسان . .

2) Soins. 3) Appas. 4) Bontés.

وأحاديثك عن خفقان قلبه . ٢٨٠
لعل تدلُّهي بالحبِ هو الذي يجعلني ملحاحة لجوجة ؛
ولكن دون أن تُرهقي نفسك بحديثٍ لا طائلَ تحته ،
فأنا لم أستشعر قط عندَه ذلك الهُيام ، وهذا الغرامَ
الذي طالما مَنـّاني به حديثُك الساحر المثير[1] .
وبعدُ ، فلو اني منحتُه الحياة والتاجَ ، ٢٨٥
فان عهوده القلقة تلك لا يمكنها أن تكفيني .

أتاليد : — كيف اذن ؟ وماذا تنوين بحثَه في شأنِ هذا الحب ؟

روكسان : — اذا كان يُحبني حقاً فعليه أن يتزوجني اليوم .

أتاليد : — يتزوجك ! يا للسماء ! ماذا تُراكِ فاعلة ؟

روكسان : — أنا أعرف ان تقاليدَ السلاطين تنهض ضدي ، ٢٩٠
وأعرفُ أنهم سنّوا قانوناً جائراً[2]
يمكّنهم من ألاّ يُخضعوا زواجهم لعهد .
فمن بين كلّ ماهنالك من حسانٍ تستأثرُ بعطفهم ،
فهم يتكرمون أحياناً فيُفضّلون محظية واحدةً عليهن ؛
ولكنها رُغم كلّ مُغرياتها تبدو دائمة القلقِ ، ٢٩٥
تستقبلُ ــ كأَمةٍ ــ سيدَها بين ذراعيها ؛

---

1) Discours flatteur. 2) Une superbe loi.

ودون أن تتحرَّرَ من النيرِ الذي تفرضه شريعتُهم ،
عليها أن تُنجبَ صبياً لتُنَصّبَ سلطانة .
أما مرادُ الأكثرُ شوقاً وصبابةً فهو الوحيد حتى اليوم
الذي أراد أن يُعترف لها بهذا اللقب لشدّة حبه. ٣٠٠
لقد حظيتُ منه بالسلطة كما حظيتُ باللقب ،
وأطلق لي يدَ التحكمِ بمصير أخيه .
ولكن مراداً هذا لم يَعِدْني البتة
بان الزواجَ هو ما يجب أن يُتوِّج به مكارمَه يوماً :
وأنا التي لم تكن لتَطمَحَ إلا الى هذا المجدِ الوحيد، ٣٠٥
لم أعُد أذكرُ بقية أياديه .
وعلى أي حال فما جدوى تبرير نفسيَ الآن ؟
فبايزيد قد أنساني حقاً كلَّ شيء .
إنه ـ وهو الأسعدُ حظاً ـ ورغم جميع مصائبه
قد نال إعجابي وربما دون أن يطمحَ هو الى ذلك[1] : ٣١٠
استملتُ من أجله الوزير والجواري والحرس بأسرِهم ؛
وبكلمة ، ها أنتِ تَرَينَ الى أيِّ حدٍّ انتهيتُ به .
إنني أفدتُ كثيراً ـ بفضل حبي ـ من السلطة
التي منحنيها مراد لأتصرفَ بمقدِراتِ أخيه .
إن بايزيد يكاد يُمسِكُ بيديه عرشَ السلاطين : ٣١٥

١) انظر البيتين ١٥٥ ـ ١٥٦ .

لم يبقَ له سوى خطوةٍ واحدة؛ ولكن حيث أنتظره.
وبالرغم من كل حبي ، واذا لم يربطني به ،
هذا اليومَ ، زواجٌ مشروع ؛
واذا تجاسرَ أن يتذرّع بقانون جائر ،
في حين أُضحّي بكل شيء من أجله ، واذا لم يتصرف
مثلي ، ٣٢٠
فإنني – في اللحظة نفسها – ودون أن أفكر ان كنت أحبه ،
ودون أن أتحقق أخيراً إن كان في ذلك هلاكي ،
سأتخلى عن الجاحد وأدُعه يعودُ صاغراً
الى الحالة البائسة التي انتشلتُه منها .
من أجل هذا أريد أن يُعلنَ بايزيد موقفَه . ٣٢٥
إن هلاكه أو نجاته منوطان بجوابه .
إنني لا أستعجلُكِ اليومَ أبداً
لتكشفي أمامه بلسانِكِ عني :
أريد أن يكشفَ أمامي لسانُه ووجهُه
عن مكنونات قلبه فلا يدَعاني في حيرةٍ[1] من أمري؛ ٣٣٠
فليَمثُلْ أمامي هو بنفسه ،
وليؤتَ به خفيةً الى هنا وبلا استعداد .
الوداع . ستَعلمين كل شيءٍ بعد مقابلتنا هذه .

1) Ombrage.

المشهد الرابع

أتاليد – ازاهير

أتاليد : – قُضيَ الأمرُ يا أزاهير ، لقد هلكتْ أتاليد !

ازاهير : – أنتِ ؟ ٣٣٥

أتاليد : – لقد كان الذي خفتُ أن يكون .
فأملي الوحيد أصبح منوطاً بيأسي[1] .

ازاهير : – ولكن لِمَ يا سيدتي ؟

أتاليد : – لو انكِ سمعتِ[2]
أيّ قرارٍ مشؤوم اتخذته روكسان ،
وأية شروطٍ تريدُ أن تفرضَها !

---

1) Mon unique espérance est dans mon désespoir.

٢) كانت أزاهير على المسرح أثناء محاورة روكسان وأتاليد ، ولكن يجب أن يُفترض أنها ابتعدت عنها تأدباً ..

لقد قالت إن علي بايزيد إما أن يموتَ أو يتزوجها. ٣٤٠
فأي منقلب أنقلبُ في هذا البلاء العظيم لو أنه رضخ ؟
وإلاّ ، فأيُّ مصير يكونُ مصيرُه ؟

ازاهير : — إنني أفهم هذا البلاء . ولكن كان على قلبك
أن يتوقّعَ ذلك منذ أمدٍ بعيد .

أتاليد : — آه ! وهل للحب يا أزاهير كلُّ هذا الاحتراس
والحذَر؟ ٣٤٥
كل شيء كان يبدو سائراً وِفقَ مشيئتنا ؛
وروكسان المستسلمةُ استسلاماً مُطلقاً لعهدي ووفائي
كانت تركُنُ اليّ في ما يختصُّ بحب بايزيد
وتدَعُ لي الاهتمامَ بكلّ ما يعنيه ،
كانت تراه بعينيّ وتحدّثه بلساني ؛ ٣٥٠
وكنتُ أظن انني أدركتُ اللحظةَ السعيدة ،
حينما كدتُ أُتوّجُ بيديها رأسَ حبيبي .
لقد وقفتِ السماءُ دونَ مكري وخداعي[1] .
فماذا كان عليّ أن أفعلَ بعدُ يا أزاهير ؟
أكان عليّ أن أقاومَ استرسالَ روكسان في ضلالها ٣٥٥
وأفقدَ حبيبي من أجلِ هدايتها[2] ؟

---

1) Artifice. 2) Pour la désabuser

فقبلَ أن ينموَ هذا الحب في قلبها ،
كنتُ أحب ، وكان بامكاني الاطمئنان الى اني محبوبة.
ومنذ نعومةِ أظفارِنا ـ وأنتِ تذكرين ذلك جيداً ـ ،
وثّقَ الحبُ الوشائجَ التي بدأها الدمُ . ٣٦٠
لقد ترعرعنا سَواسيةً في أحضان أمه ،
ونشأتُ على التمييز بينَ بايزيد وأخيه .
وبابتهاجٍ ظاهر وَحّدَتْ أمّه بنفسها رغبتينا :
وبالرغم من تباعدِنا بعد موتها ،
فقد احتفظنا ـ دون أن نلتقي ـ برغبةِ الحبِ
المتبادَل ، ٣٦٥
وعرفنا دائماً كيف نتحابّ بصمت .
وروكسان التي لم يساورْها الشكُّ منذ ذلك الحين ،
أرادتْ أن أُشاطِرَها مقاصدَها الخفيّة[1] ،
فلم تستطع أن ترى هذا البطل الساحرَ دون أن تحبّه :
وهرعتْ نحوه تمدُّ اليه يداً سمحاء سخية ، ٣٧٠
وإذ تملكتِ الدهشةُ بايزيد فقد استجابَ لاهتمامِها
وإيثارِها ،
وبادلها حباً باحترام : أوَ كان بمُكنتهِ أن يفعلَ أقلّ
من ذلك ؟

1) Ses desseins secrets,

ولكن ليُصدِّقْ كلّ ما يأمرُ به الُحب !
فروكسان الراضية بأدنى معطياته ،
قدْ أخذتْ علينا عهداً — نحن الاثنين — ، ٣٧٥
أن ندَعَها تستمتعُ بسذاجتها في يُسْرٍ وسهولة .
ومع هذا ، يجب أن أُقرّ بضعفي يا أزاهير :
لم أكن سيدةَ نفسي أمام ثورةِ غَيْرةٍ جموح .
إن غريمتي ، وقد أرهقتْ حبيبي بألطافها وحسناتها ،
تقاومُ بقوةِ الدولةِ محاسني العزلاء[1] : ٣٨٠
ألفُ رعاية وعنايةٍ منها جعلتْها ماثلةً في ذاكرته ،
كانت تُمَنّيه بمجدٍ وشيك :
أما أنا فلم أستطع حيالها شيئاً . وهكذا أصبح قلبي
لا يملكُ سوى حسرات يردّدها على الدوام .
إن السماءَ وحدَها تعرفُ كم ذرَّفتُ من عبرات . ٣٨٥
وعلى أي حال فإن بايزيد بدّدَ مخاوفي[2] وأزال شكوكي ،
فرحت أُدينُ دموعي الفاضحة ، وحتى هذا اليوم
وأنا ألحّ عليه بأن يتظاهر بحبها بل لقد كلّمتُها من أجله .
ويلاه ! لقد انتهى كل شيء : فروكسان التي استُخِفّ بها
ستثوبُ عما قريب الى رُشدِها وتملك زمام أمرها . ٣٩٠
ذلك لأن بايزيد لا يعرف التسترَ ،

1) Faibles attraits 2) Alarmes.

وأنا أعرف أن حميَّتَه سرعان ما تنفرُ وتثور .
فعليَّ حين أكون مضطربةً وجديرة بالرثاء ، في كل لحظة ،
أن أُضفي على أحاديثه لها معانيَ أكثرَ ملاءمةً له .
إن بايزيد سيهلكُ لا محالة . آه ! لو أن غريمتي ، ٣٩٥
قررت أن تكلمه كما سبقَ لها وكلَّمته بلساني !
ويا ليتني استطعتُ ــ على الأقل ــ أن أنبئَه بالحقيقة !
ولكني أستطيع يا أزاهير أن أنتظره ريثما يمرُّ من هنا
فأنقذَه بكلمةٍ أو بنظرة .
ألآ فليتزوجْها ، فذلك خير من أن يموت وأبقى. ٤٠٠
إذ أنها لو شاءت له الموت لكان حتماً عليه ورودُه .
(تخاطب نفسها)
تيقني من هلاكه . كفى يا أتاليد
دعي حبيبَك على عهدِه ولا تُذعَري .
أوَ تظنين أنكِ تستحقينَ هلاكه من أجلِك ؟
بل لعله حين يستجيب لنداء رغبتكِ ٤٠٥
يتمسك بأهدابِ الحياةِ أكثر مما تريدين .

أزاهير : ــ آه ! أية هواجسَ[1] تتخبطين فيها يا سيدتي ؟
أوَ حتم عليك في كل حين أن تستبقي أحزانَك ؟
ما كان لك أن تشكي في حبه أبداً : انه يعبدك .

1) Soins.

دعي عنكَ أو أخفي هذا القلقَ الذي يَلتهمُك. ٤١٠
وحذارِ أن تفضحَ دموعُك صَبواتِك ،
فاليد التي أنقذته ستنقذَه دائماً ،
على أن تظل روكسان مُسترسلةً
في جهلها المشؤوم[1] لغريمتها الى ما لا نهاية .
هيا واحبسي حسراتِك في غير مكان ، ٤١٥
وانتظري ما سيُسفِرُ عنه لقاؤهما .

أتاليد : — حسناً ! هيا بنا يا أزاهير . وأنت أيتها السماءُ
لو قضَت عدالتُكِ بأن تعاقبَ مكرَ عاشقَين شابَّين ،
ولو أنك أدنتِ حُبَّنا لكان لك
أن تصُبّي كلَّ نقمتِكِ عليَّ ، فانا وحدي الأكثرُ
جرماً . ٤٢٠

***

---

١) الجهل الذي أراده لها القدر . ذلك أن القدر هو الذي يُسيِّر – كما هو معلوم – أبطال راسين بينا نرى أن أبطال كورني هم الذين يسيّرون القدر .

الفصل الثاني

المشهد الأول

بايزيد — روكسان

روكسان : — أيها الأميرُ ، لقد حانتْ أخيراً الساعةُ المشؤومةُ ،
التي احتفظتْ بها السماءُ لحرّيّتِكَ .
لا شيءَ يَرْدعُني ، وبوسعي منذ هذا اليوم ،
أن أُحقّقَ الغايةَ التي رعاها حُبي وغذّاها .
ولستُ واضعةً بين يدَيْك مملكة آمنة مطمئنة، ٤٢٥
لأنكَ ضمنتَ نصراً يسيراً ؛
بل لأنني أعملُ ما يسعُني عملُه ، وقد وعدتك بذلك:
إنني أُسلّحُ بسالتَك ضدّ أعدائِك ،
وأُبعِدُ عن حياتِك خطراً داهماً ؛
وما على بَسالتِكَ[1] هذه يا سَيّدي إلا أن تتولّى
الباقي . ٤٣٠

1) Vertu : valeur.

لقد رأى عثمان الجيشَ ؛ ورأى أنه يميلُ اليك ،
أمّا أعيانُ الشريعةِ فهم يتآمرون لصالحنا :
والوزيرُ حكمت يتكفلُ لك ببيزنطية ؛
وأنا — فكما تعلم — أحتفظُ تحت إمرتي
بهذا الحشدِ الحاشدِ من الزعماء والعبيد والبُكْم، ٤٣٥
الذينَ يضمُّهم هذا القصرُ بين جدرانه ،
وكلُّ ما فيهم من نفوسٍ استعبدْتُها
تَدينُ لي — منذ أمدٍ بعيد — بسكوتِها وحياتِها .
بادرْ منذ الآن : وعليك أن تهرعَ
الى ساحة المجـــدِ التي عرَفتُ كيف أُشرِعُ لك
أبوابَها . ٤٤٠
إنك حين ترفضُ يا سيدي يداً قاتلة[1]
لا تكون بهذا قد أقدمتَ على عمل جائرٍ أبداً .
فالعبرة شائعة ومعروفة : كمْ من سلاطين
توَصّلوا بمثل هذه الطريقة الى العرش[2] .
ولكن لكي نُحسنَ المبادَرَة لنُسرعْ كلانا ٤٤٥
الى توكيد سعادتي وسعادتك معاً .

---

١) التي هي يد روكسان نفسها .
٢) وهكذا خلف مراد الرابع عام ١٦٢٣ أخاه عثمان الذي خلع عن العرش واغتيل إثر حركة عصيان قام بها الجنود الانكشاريون .

إظهرْ للملأ ، وقد ربطت مصيرك بمصيري ،
فانا حين كنتُ أرعاك كنت أرعى فيك زوجي ؛
فاجعلْ العهدَ الذي منحتُك إياه شرعياً
واربطه برباطٍ مقدسٍ لزواج سعيد . ٤٥٠

بايزيد : — آه ! ماذا أراك تقترحين يا سيدتي ؟

روكسان : — عجباً يا سيدي !
أيُّ عائقٍ خفيٍّ يُقلق سعادَتنا ؟

بايزيد : — سيدتي ، أتجهلين ان كبرياء المملكة ...
آه ! لِمَ لا تُوفرين عليّ ألمَ البوحِ به ؟

روكسان : — أجل ، إنني أعرفُ أن أحدَ سلاطينكم بايزيد[1] قاسى الأمرّين ٤٥٥
من هياج ذلك البربري[2] حين رأى زوجتَه موثوقةً ،
الى عربةِ العدوّ الظافرِ تسحبُها وراءَها
في كل أنحاءِ آسيا . منذ ذلك الحين وخلفاؤه الغيارى
على الشرفِ العثماني قلما قبلوا

---

١) إنه بايزيد الأول ارتقى عرش السلطنة عام ١٣٨٩ . انتصر عليه تيمورلنك وأسره في معركة « النصير » عام ١٤٠٢ . أما زوجته فقد اقتيدت أسيرة .

٢) أي من هياج تيمورلنك .

أن ينتحِلوا لأنفسِهم لقبَ زوج أو يزهوا به . ٤٦٠
ولكنّ الحبّ لا يتبعُ أبداً هذه الشرائع الموهومة ؛
ودون أن أُذَكّرَكَ بأمثلةٍ سائرة ،
فأنتَ تعرفُ سليمان[1] الذي – من بين كافة أجدادِك ،
خشيَ العالمُ من قبضةِ ساعدِه المظفّر ،
لم يرفعْ أحدٌ عالياً العظمةَ العثمانيةَ كما رفعَها ؛ ٤٦٥
سليمان هذا هو الذي جَرؤَ على الزواج من روكسِلان .
إن هذا الملك المزهوّ ، بالرغم من كبريائِه وصَلفِه
قد قَبِلَ أن تشاركَه فراشَه وعرشَه ،
دون أن تتمتعَ بحقوقٍ أخرى تضعُها في مرتبةِ الملِكة
إلا بقليل من المفاتن وربما بكثير من الحيلة والدهاء . ٤٧٠

بايزيد : حقاً ما تقولين. ولكن أنظري كذلك في ما أستطيعه ،
وفي ما كان عليه سليمان وقلة ما أنا فيه .
فسليمان كان يتمتعُ بكامل سلطتِه :
لقد استطاعَ أن يُعيدَ مِصرَ إلى حظيرته[2] ؛
ورودس : هذه الصخرةُ المخيفةُ للعثمانيين ، ٤٧٥

---

١) هو سليمان القانوني الذي حكم مدة طويلة (من ١٥٢٠ حتى ١٥٦٦) . كان جرياً على العادة العثمانية يُكثر من المحظيات دون أن يتزوج زواجاً شرعياً لكي يتجنب العار الذي لحق بزوجة بايزيد الأول .

2) Ramenée à son obéissance.

انقلبتْ مقبرةً لجميع حُماتها ؛
وشواطىءُ الدانوب باتتْ مقفرةً حزينة ؛
وحدود السلطنة تخطتِ الامبراطورية الفارسية ؛
والأفارقةُ الذين قهرَهم في بلادهم اللاهبة ،
تخلوا عن حقوقهم صاغرين أمام مشيئته القاهرة. ٤٨٠
أمـا أنا فمن ترُاني أكون ؟ ! أأنتظرُ كلّ شيءٍ منَ الشعبِ والجيش ؟ !
إن مصائبي وحدها تُهيءُ لي كلّ أسبابِ شهرتي ..
فأنا منكودُ الحظ ، منبوذٌ ، غيرُ واثقٍ من الوصولِ إلى الحكم ،
هل عليّ أن أُغيظَ القلوبَ بدلاً من استمالتِها ؟
هل تُراها ترثي لشقائِنا حينَ تشهدُ مباهِجَنـا ومَسرّاتِنا ؟ ٤٨٥
هل ستصدّق أخطاري المحدِقة وما تذرُفين من دموعٍ صادِقـة ؟
فكـّري ملياً دون أن تتباهي عليّ بمصير سُليمان ،
فكـّري بمصرع عثمان[1] المسكين الذي لم يجفّ دمه بعد:
إن زُعماءَ الإنكشاريين أثناءَ عصيانهم ،
حين حاولوا أن يُلطخوا مخططاتهم الدموية[2] ، ٤٩٠

---

١) أنظر البيت ٤٤٤ .

2) Leurs desseins sanguinaires.



روكسان : — هل فكرتَ أن كلّ شيءٍ سينقلبُ ضدّك بدوني ؟

بالزواج المشؤوم[1] الذي تقترحينه أمامي
ظنوا أنهم على حقٍّ في تدبيرِ أمرِ هلاكِه .
وبعدُ ماذا تُراني قائلاً لك ؟ فلربما مع الزمنِ ،
تجدينني جَسوراً معهم حينما أضمن تأييدهم[2] .
فلا تتعجّلْ شيئاً . ولتتفضلي بمبادرةٍ ٤٩٥
تضعُني في حالةِ امتنانٍ وتقدير .

روكسان : — إني أفهمك[3] ياسيدي ، وألمسُ بيدي تهوّري
كما أرى ان لا شيء يفوتُ تبصرَك في الأمور :
لقد ساوَرَك الشعورُ بأقل الأخطارِ
في اللحظة التي كاد حبي العَجولُ أن يرتبط بك؛ ٥٠٠
انك لتخشى عاقبةَ ذلك من أجلك ومن أجل شرفِك؛
اني لأصدّقُ ذلك يا سيدي ما دُمتَ تقوله لي .
ولكن هل توقعتَ ، اذا لم تتزوْجني ،
الأخطارَ الأكثر تأكيداً التي تُعرض نفسَك لها ؟
هل فكرتَ ان كلّ شيء سينقلبُ ضدّك بدوني؟ ٥٠٥
وانه ينبغي لي — أنا على الأخص — أن أرضى بذلك ؟

---

١) كان عثمان قد اغتيل لأنه منح حقوق الزوجية لاحدى محظياته شاسكي الروسية الأصل . ولهـــذا فان بايزيد يخشى من زواجه من روكسان مخـــافة أن ينقلب عليه الانكشاريون كما فعلوا بعثمان .

2) Leur suffrage. 3) Je vous entends.

ثم هل فكرتَ انني مُوكلةٌ بأبواب القصر ؟
أستطيع أن أفتحها لك أو أُغلقَها في وجهك الى الأبد؛
وان لي على حياتِك سلطاناً مطلقاً ؛
وانك لا تتنفَّس إلاّ بمقدار ما أُحبُّك ؟ ٥١٠
وبكلمة ، إنك لولا هذا الحبُّ نفسه الذي يسيء اليه
رفضُك وامتناعك لما كنتَ. فهل فكرت في كل ذلك ؟

بايزيد : — بَلى . إنني أدينُ لكِ بكل شيء ؛ ولم أشكّ مطلقاً ،
في أن ذلك كان بالنسبة اليكِ مجداً كبيراً ،
حين تَرَين أمامي المملكةَ بأسرها راكعةً
مستسلمة ، ٥١٥
وتسمعينني أُقرُّ بأنني أدين لك بكل شيء .
أنا لا أُبرّىء نفسي أبداً ؛ وها لساني يعترفُ بذلك ،
وسيعرفُ تقديري لكِ كيف يُؤكدُه على الدوام :
إنني أدينُ لكِ بكلّ قطرةٍ من دمي ؛ فحياتي مُلكُ
يَدَيْكِ .
ولكن أخيراً هل تريدين ... ٥٢٠

روكسان : — كَلا ، لا أريدُ شيئاً .
لا تثقلْ عليّ بعد الآن بحججِكَ المخادِعة[1] :

---

1) Raisons forcées.

إني أرى كم هي بعيدةٌ أمانيك عن أفكاري .
أنا لا أحثُّكَ مطلقاً – أيها الجاحد – على قبولها :
عُدْ إلى الظلمةِ التي أخرجتُك منها .
وبعد فمن ذا الذي يؤخرني عن ذلك ؟ وأي عهد آخر ٥٢٥
أطلبُه أيضاً من عديمِ اكتراثِه[1] ؟
هلاّ تأثّرَ – الجاحدُ – بحبي واندفاعي ؟
أترى الحبّ نفسَه يتعارضُ مع منطقِه ؟
آه ! إنني أستشفُّ مراميكَ . أنتَ تعتقدُ مهما أُقدّم مِنْ صَنيع
أن أخطاري نفسَها تضمنُ لكَ سلامتَك ؛ ٥٣٠
وإذ تشدّني إليك مواثيقَ متينة العُرى ،
فانني لا أستطيعُ أن أُفرّقَ بين مصالحك ومصالحي .
بَيْدَ أني ما زلتُ ألوذُ بمكارمِ أخيك وأفضاله ؛
إنه يحبُّني ، وأنتَ تعرفُ ذلك ، وبالرغم من غضبه ،
أستطيعُ أن أكفّرَ عن كلّ إثمٍ يجري في دَمِكَ الخائن . ٥٣٥
ألا ان موتَك ليكفيني مؤونة التبرير .
لا تشكنّ في ذلك ، إني أسارع اليه وفي هذه اللحظة .

---

١) في هذا البيت تخاطب روكسان نفسها متجاهلة بايزيد . كما أن فيه من حيث البلاغة التفاتاً بارعاً ...

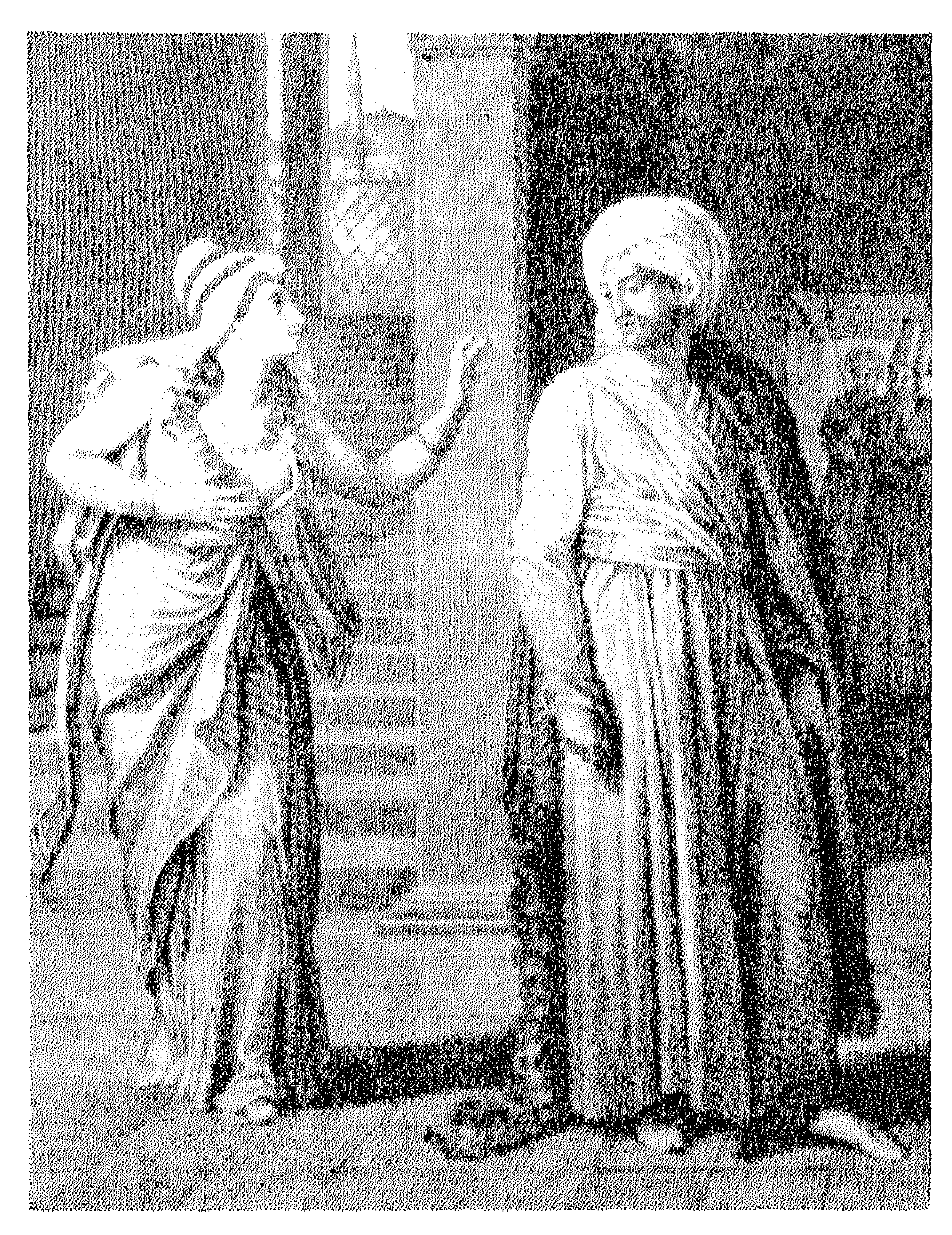
اني أشعرُ بحبي لك : فاصغِ اليَّ يا بايزيد ؛
إنك لتضيّعُ نفسَك . فحاذِر أن تدعني أخرج :
إن الطريق ما زالت مُشرَعة أمامك للندم .   ٥٤٠
لا تُفجِـع عاشقةً متيمة بأمانيها ،
اذا بدَرَتْ مني كلمةٌ فقد تكلفُكَ حياتَك[1] .

بايزيد : — بوسعِك أن تنتزعيها مني ، انها بين يديك .
فلعلَّ موتي حين يخدمُ مساعيك ،
يهيءُ لك من مراد المحظوظ العفوَ والأمان ،   ٥٤٥
ويُعيدُ اليك مكانتك الأولى في قلبه .

روكسان : — في قلبه ؟ آه ! أوَ تعتقد أنني ، حين يَوَدُّ ذلك ،
وحين أفقدُ الأملَ في امتلاك قلبك ،
أستطيع بعد كل هذا أن احتمل فكرةً أخرى ،
تكونُ بديلاً من ذلك الضلالِ اللذيذ الذي ملأ كياني
أمداً طويلاً ،   ٥٥٠
أو أن أحيا ، أخيراً ، اذا لم أحيا من أجلك ؟
لا ريبَ انني أمنحُكَ أيها القاسي سلاحاً ضدي ؛
فعليَّ .. اذن — أن أُمسك بزمام ضعفي :
ستنتصرُ على ضعفي هذا . أجل ، اني أُقرُّ لك بذلك،

---

1) S'il m'échappait un mot, c'est fait de votre vie.



روكسان : — هل لديك أسرار" لا يمكنني الاطلاع عليها ؟

فقد كنتُ أصطنع أمام عينيك قسوةً كاذبة[1] : ٥٥٥
إن بهجتي وسعادتي لمرتبطتان بك :
وموتي الفاجعَ سيتبعُه ـ لا محالة ـ موتُك ...
فيا ضيعةَ كل تلك المساعي التي بذلتُها من أجلك !
وبعدُ ، فها أنت تزفُرُ أخيراً وتضطرب .
هيا ، تكلمْ ... ٥٦٠

بايزيد : — يا للسماء ! لمَ لا أستطيع الكلام ؟

روكسان : — كيف ؟ ماذا تقول ؟ ماذا أسمع ؟
هل لديك أسرارٌ لا يُمكنني الاطلاع عليها ؟
ماذا ألا أستطيع أن أقفَ على حقيقة مشاعرك ؟

بايزيد : — سيدتي ، امنحيني فرصةً أخرى ، ولكِ أن تختاري :
تفضلي وشُقي أمامي طريقاً شرعياً للوصول الى
العرش ؛ ٥٦٥
وإلا فها أنا مستعد . إليك ضحيتَك ..

روكسان : — آه ! لقد بلغ السَّيْلُ الزبى[2] . سترى ما يَسُرُّك .
إليَّ بالحرَس !.. فليأتوا .

---

1) Une fausse fierté. 2) C'en est trop.

المشهد الثاني

روكسان — حكمت — بازيد

روكسان : — قُضيَ الأمرُ يا حكمت .

بإمكانِكَ أنْ تعود . ليس لديّ ما أقوله لك .

إنني أعترف بشرعية السلطانِ مراد : ٥٧٠

إذهب . ولتُقفَل منذ الآن أبوابُ السراي ؛

وليَعُدْ كلُّ شيء هنا الى سابق عهده .

★

المشهد الثالث

بايزيد – حكمت

حكمت : – ماذا اسمع يا سيدي ! يا للمفاجأة الصاعقة !
أيُّ مُنقلبٍ ستنقلب ؟ وأيُّ مصير ينتظرني ؟
من أين كل هذا التبدُّل ؟ ومَن عساي أتّهم ؟ ٥٧٥
يا للسماء !

بايزيد : – لا ينبغي لك مطلقاً أن تُخدَع ههُنا .
إن روكسان قد أُهينَت وهي تسعى لتنتقم :
إن عقبةً دائمةً تحولُ دون تفاهمِنا[1] .
فكرْ بنفسك أيها الوزيرُ . وها إني قد بلّغتُك ؛
فاتخذْ قرارَك[2] ولا تعتمدْ عليّ . ٥٨٠

حكمت : – ماذا ؟

---

1) Intelligence. 2) Parti.

بايزيد : — التمسْ لك ولأعوانِك مُعتَزَلاً[1] من الأرض.
إنني أعرف أية مهالِك توقعُكَ فيها صداقتي ؛
فقد كنت آملُ يوماً أن أُحسِنَ جزاءَك .
ولكني أقول لك : قُضيَ الأمرُ فلا تفكر به بعد الآن.

حكمت : — وماذا تكون اذن هذه العقبةُ الكأداء[2] ياسيدي؟ ٥٨٥
لقد تركتُ منذ هنيهة كلَّ شيءٍ هادئاً في السراي .
فأية ثورةٍ جَموح[3] تجتاحكما ؟

بايزيد : — انها تريدُ يا حكمت أن أكون لها زوجاً .

حكمت : — ثم ماذا ؟
إن عادات السلاطين تتعارضُ وأمانيها ؛

ولكن مهما تكن هذه العاداتُ فهـــل هي شريعةٌ
صارمةٌ منزلة ٥٩٠
تستوجب منك صيانة وتقديساً يكلفانِك حياتَك ؟
ولعَمْري إن أقدسَ الشرائعِ هي في أن تنقذَ نفسَك
وأن تنتزعَ — يا سيدي — من موتٍ محقَّق
دمَ العثمانيينَ الذي أنت بقيّتُـه الباقية !

1) Retraite. 2) Invincible. 3) fureur.



بايزيد : — إنها تريدُ يا حكمت أن أكون لها زوجاً .

بايزيد : — هذه البقيةُ التاعسةُ قد تكلّفُ غالياً ٥٩٥
لو وجبَ أن تُحفظَ بالجبنِ والهوان .

حكمت : — ولمَ ترى في هذه القضية أمراً إدّاً[١] ؟
فهل سوّد[٢] سليمان صفحتَه[٣] بزواجه ؟
ومع ذلك فهو لم يكن قط مُهدداً
باخطار محتمةٍ أراكِ تتعجل حدوثها . ٦٠٠

بايزيد : — وان في هذه المخاطر وفي هذا الحرصِ على حياتي
لعاراً . أيّ عار — يُلطّخُ زواجاً دنيئاً[٤] وضيعاً .
فسليمان لم يكن له قط هذا العذرُ القبيح ؛
ان جاريتَه[٥] لاقت قبولاً حسناً في نظره ؛
وبدون أن يتعرّض لقيدِ زواجٍ محتوم ٦٠٥
فقد قدّم لها قلبَه طائعاً مختارا .

حكمت : — ولكنكَ تحبُّ روكسان .

بايزيد : — كفى يا حكمت .
إنني أشكو حظي أكثر مما يُخيّلُ اليك .

---

١) أمراً خطراً وفظيعاً . Une image si noire

2) Ternir. 3) Sa mémoire. 4) Servile hymen.

٥) أي روكسلان .

فالموتُ ليس في نظري ذُرْوَةَ الشقاءِ ومُنتهاه !
كنتُ أجِدُهُ في طلبِه يومَ كنتُ تحت إمرتِك. ٦١٠
حتى أن السجنَ الذي لا يليقُ بي والذي أنا فيه
قد ألِفتُ رؤيتَه عن كثبٍ وألِفَني ؛
ولقد أرانيه مُراد عشرين مرة ،
ففيه أجدُ نهايةً لحياةٍ مضطربةٍ قلقة .
واأسفاه ! إني إذ أتركُها ببعضِ الحسرة ... ٦١٥
أعذرْني يا حكمت ، فأنا لا أشكو بلا سببٍ[1]
قلوباً أسأتُ إليها حين غمرَتْني بألطافِها
واتخذَتْني هدفاً لكلِّ حبِّها ورعايتِها .

حكمت — آه ! إذا نحن هلِكنا فلا تلومَنَّ سوى نفسك ياسيدي :
كلمةٌ واحدةٌ تنطقُها وتنقذُنا جميعاً . ٦٢٠
إن ما بقيَ هنا من الانكشاريين الأشِدّاء ،
ومن علماءِ الدينِ الأجلّاء ،
هؤلاء الذين يحترمُهم الشعبُ التركي كثيراً
والذين ينفّذون ـ بسيرتهم الفريدة ـ إرادةهذا الشعب ،
مستعدّون ليقودوك إلى الباب المقدّس[2] ٦٢٥
حيث يدخلُ منه السلاطين للمرّة الأولى .

1) Je plains avec sujet.

٢) وهو الباب الذي يدخل منه السلاطين عند اعتلائهم العرش .

بايزيد : — حسناً ! فإذا ما كنتُ أثيراً لديهم أيها الوزيرُ الشجاع،
فليأتوا وينتزعوني من بينِ يديْ روكسان .
وإذا لزِمَ الأمرُ اقتحمْ بابَ السراي ؛
وادخُلْ مصحوباً برفقتِهم الميمونة . ٦٣٠
إني لأفضّلُ أن أخرجَ منه مُضرَّجاً مُثخَناً ،
على أن أحملَ مُرغَماً لقبَ زوجٍ لروكسان :
ولعلّني سأعرفُ كيف أُنقذُ نفسي ،
في غمرةِ هذه الفوضى المتناهية[١] حيث أُناضل
في لحظةِ يأسٍ رائعٍ منتظراً وفاءك ، ٦٣٥
مانحاً إياك الوقتَ الكافيَ لتصلَ إليّ[٢] .

حكمت : — على رِسْلِكَ ! أأستطيعُ أن أمنعَ روكسان — رُغمَ سُرعتي — ،
من أن تحقّقَ انتقامَها بقدْرَةٍ قادر؟
فما نفعُ هذا الغُلَواء[٣] إذن ،
سوى أن تحمّلَ أصدقاءَك وِزْرَ جريمةٍ عقيمة[٤] ؟ ٦٤٠
عِدْني أن تتخلصَ من الخطرِ الذي يُحدِق بك ،

---

1) Ce désordre extrême.

٢) إن خطة بايزيد هي خطة حكمت نفسها التي سيحاول - هذا الأخير - تنفيذها في آخر فصل من فصول المسرحية .

3) Ce zèle impétueux. 4) Infructueux.

وسوفَ تختَبرُ بنفسِكَ   حينذاك – كم كان وعدُكَ قيِّما .

بايزيد :

حكمت لا تخجلْ أبداً : فلا ينبغي لدمِ العثمانيين
أن يُطيعَ العهودَ والمواثيقَ[1] طاعةً عمياء .
إستشرْ هؤلاء الأبطال الذين قادتهم شرعة الحرب ٦٤٥
مُظفَّرين حتى أقاصي المعمورة :
فهم الأحرارُ بانتصارهم والأسياد بوفائهم ،
ومصلحةُ الدولةِ[2] كانت هي قانونهم الأوحد ؛
والعرش . العرش المقدس نفسُه ما شيّدتْ أكثر أركانه
إلا على عهودٍ ومواثيق لم تُحترَم ولم تُنفَّذْ . ٦٥٠
إن رباطة جأشي لتخونني يا سيدي .

بايزيد : – أجل ، إنني أعرفُ يا حكمت ،
الى أين قادتهم مصلحةُ الدولة .
ولكن هؤلاء الأبطالَ إياهم الذين جادوا بأنفسِهم ،
لم يشتروها قط بالخيانة .

---

1) Serments.   2). L'intérêt de l'État.

حكمت : — يا للشجاعةالتي لا تلين[1] ! يا للوفاء الذيلايتزعزع، ٦٥٥
يا له يَبهرُني — بالرغم مني — مهما تقوّض أو اضمحلّ !
تُرى هل ينبغي لخجل متردد أن يَضيعَ في لحظة ...
ولكن أيّ حظ سعيدٍ يُرسلُ الينا أتاليد ؟

1) Inflexible.

المشهد الرابع

بايزيد – أتاليد – حكمت

حكمت : آه يا سيدتي ! تعالي وانضمّي إليّ .
إنه يغيبُ عن نفسِه . ٦٦٠

أتاليد : — من أجلِ هذا جئتُ أُحدّثه ،
ولكن دعْنا وشأنَنا الآن؛ إن روكسان التي أضمرَتْ هَلاكَه [١]
تريدُ أن يكونَ بابُ هذا القصرِ موصَدا .
وعلى أيِّ حالٍ لا تبتعِدْ يا حكمت ؛
فقد يجعلونك ترْتَدُّ على عَقِبَيْك [٢] .

1) A sa perte animée.

٢) يكفي من هذه الإشارة السريعة أن نفهم أن أتاليد شاهدت روكسان ، وأن هذه تحافظ على أمرها الذي أصدرته في البيت رقم ٥٧١ حيث بدت غير متأكدة ممـا عزمت عليه .

المشهد الخامس

بايزيد — أتاليد

بايزيد : — حسناً ! الآنَ ينبغي لي أن أغادرَك ، ٦٦٥

إن السماءَ تقتصُّ من تستّري وتُخزي خديعتَك ؛

لا شيءَ استطاع أن يَصُدَّ عني آخرَ ضرباتِها :

فقد تحتَّمَ عليَّ إمّا أن أهلِك أو لا أكونَ لك أبداً .

ماذا جنينا من كلّ هذا التكتّمِ البغيض ؟

سأهلكُ غداً لا محالة : تلك هي ثمرةُ تجاهلِنا

وتَستّرِنا . ٦٧٠

لقد سبقَ لي أن أنبأتُكِ بذلك؛ ولكنكِ أصررتِ عليه؛

فاستبقيتُ دموعَك ما استطعتُ الى ذلك سبيلاً .

فباسمِ هذه العواطفِ المتبادلة أيتها الحسناء أتاليد ،

تكرّمي وتجنّبي لقاءَ السلطانة :

قد تخونكِ دموعُكِ : فلا تُظهريها أمامَها ؛ ٦٧٥

ولا تطيلي أبداً لحظاتِ وداعٍ لا تُحمَدُ عقباه[1] .

أتاليد : — كلا يا سيدي . لقد كافحتَ بكل حسناتِك وألطافِك
من أجل تخفيفِ قسوة مصيري أنا الشقيةِ التاعسة .
وإنه لا يزال يُكلّفُك غالياً إصرارُك على إنقاذي :
عليكَ أن تستسلمَ؛ عليكَ أن تدَعني وشأني لتسود. ٦٨٠

بايزيد : — ان أدَعَكِ وشأنَكِ ؟

أتاليد : — إني أُصِرُّ على ذلك . وإني لمقتنعة .
واذ كانت تتقاذفني آلاف الهواجس الغَيرَى حينذاك،
ـ أجل ـ، فاني لم أستطع أن أفهمَ دون ان يعتريني الجزع
انه يمكن لبايزيد أن يعيشَ وألا يكونَ لي أبداً ؛
وعندما كنتُ أتخيّلُ أحياناً ٦٨٥
الصورة المؤلمة لغريمتي السعيدةِ ،
فان هلاكَكَ (حنانيك واغفرْ لي هياج العشاق المدنَفين)
لم يكن ليبدو لي أكثرَ الآلامِ عنفاً .
ولكنّ هلاكك هذا الذي يُعدُّونه لعينيّ الحزينتين
لم يظهرْ لي بكلّ هولِه وفظاعتِه ٦٩٠
إلاّ حين رأيتك الآن ـ ولأول مرة ـ
مستعداً لأن تودّعني الوداع الأخير .

---

1) Des dangereux adieux.

اني لأعرف جيداً يا سيدي بأيِّ ثباتٍ
سوف تتحدى رهبة الموت الزؤام ؛
كما أعرف ان قلبَك يُداخله بعضُ ارتياح وسرور ٦٩٥
حين يؤكِّد لي وفاءَه وهو يجود بالخفقة الأخيرة .
ولكن ـ واأسفاه ! ـ ترفقْ بروحٍ هلوع[1] ،
وقِسْ آلامك وويلاتك بقوى أتاليد وضعفِها ،
ولا تعرِّضني أبداً لأشد الآلام وقراً
تلك التي لن تستنزفَ يوماً دموعَ عاشقةٍ شقية . ٧٠٠

بايزيد : ـ وماذا سيحدثُ لكِ لو انني في هذا النهار
أحييتُ حفلةَ الزواج المشؤومة تلك، وأمامَ عينيكِ ؟

أتاليد : ـ لا عليكَ أن تعرفَ ما سيحدثُ لي .
فلعلني يا سيدي سأرضخ لمشيئة قدَري .
وما أدراني ! فقد أبحثُ عن بلسمٍ[2] لجراحي . ٧٠٥
ولعلني سأحلمُ في غمرةِ دموعي
بأنك كنتَ مصمماً على التضحية بنفسك من أجلي ،
وانني أنا التي أردتُ لك أخيراً أن تعيش .

بايزيد : ـ كلا ، انكِ لن ترَي أبداً تلك الحفلة المشؤومة[3] .
فكلما أمرتني بخيانة عهدِك ، ٧١٠

---

1) Timide. 2) Charmes.

٣) حفلة الزواج .

رأيتُ كم تستحقين يا سيدتي
ألاّ تنالي ما تشتهين .
عجباً ! هل لهذا الحبِ العَذبِ الرقيق الذي نمـــا في طفولتكِ ،
والذي شبَّ أُواره في قلبينا بصمتٍ وعلى مهل ،
ولدموعك التي كانت يـــدي وحدها تستطيع أن تكفكفها ، ٧١٥
ولعهودي المتكررة بألاّ أتخلى عنكِ أبداً :
هل لهذا كله أن ينتهي بي الى خيانتك ؟ !
أأنا أتزوج ، وبمن (اذا وجب أن أقول ذلك) ؟
بجارية لا يهمُّها سوى رعايةِ مصالحها وحدها ،
ولا تُمثّل في عينيّ سوى العذاب المُقيم ، ٧٢٠
ولا تضعُني إلا أمامَ الزواج منها أو الموتِ المحقّق[1] ؛
في حين أن أتاليد المُتحسّسة بأخطاري وهمومي ،
والجديرةَ بالانتسابِ الى الدمِ الذي منحها الحياة ،
تريدُ أن تُضَحي بي حتى وبحبها ؟ !
آه ! فليُحمَلْ رأسي الى السلطان الحقود ، ٧٢٥
طالما ان عليّ ـ بهذا ـ الثمن أن أشتريه وافتديه ..

أتاليد : ــ سيدي، قد تستطيعُ أن تعيشَ دون أن تخونني أبداً.

---

1) Infaillible.

بايزيد : — تكلمي: اني مستعد لتنفيذ رغبتك لو قدرتُ على ذلك.

أتاليد : — إن السلطانة تهيمُ بك حباً ، وبالرغم من غضبها ،
فلو أنك سعيتَ الى نيل رضاها يا سيدي ، ٧٣٠
ولو كان لزفراتِكَ أن تتواضع فتُشعرها[1] يوماً . . .

بايزيد : — انني افهمُك : ولكن ليس بوسعي أن أقبلَ بذلك .
فلا تتصوَّري أبداً ان عزيمتي التي حطَّمها ،
في هذا النهارِ ، يأسٌ جبان ،
تخشى أعباء عرشٍ[2] بوسعي أن ارتقيه ، ٧٣٥
وتسعى الى هلاكٍ سريع لكي تتجنَّبَ هذه الأعباء .
لعلني أكثر من الاصغاء الى جرأتِكَ المُتهورة ؛
غير أني — وأنا الغيورُ دوماً على أسماء أسلافي العظيمة — ،
كنتُ آملُ حينَ تحاشيْتُ دِعَةً غيرَ جديرةٍ بي[3]
أن أُشغل حيزاً مابين كل هؤلاء الأسلاف الأبطال. ٧٤٠
ولكن مهما يكن الطموحُ ومهما يكن الحبُّ الجَمُوحُ ،
فليس بوسعي أبداً أن أخدعَ عاشقةً رعناء[4] .
وإنه لِمَنَ العَبثِ أن أعِدَكِ بإنقاذِ نفسي :
إن لسانيَ وعينيَّ لتكرهُ أن تكذِبَ أو تخون .
ولَربما كان للساني وعينيَّ تأثيرٌ عكسيٌّ بالغ ، ٧٤٥

---

1) Faire pressentir. 2) Les soins d'un trône.
3) Un indigne repos. 4) Crédule.

في الوقتِ الذي كنتُ أريدُ إرضاءَها ؛
ولعل نظراتها التي أهانتْها زفراتيَ الباردة
رأتْ أن قلبي لم يكن هو الذي يُصَعِّدُها .
يا للسماء ! كم من مرة وَدَدْتُ أن أكاشفَها بالحقيقة ،
لو أن حياتي وحدَها هي المُعَرَّضة لِحقدِها ؛ ٧٥٠
غير أني كنتُ أخشى أن تصِلَ
إليك – بسهولة – شكوكُها المريبة .
أأَخدَعُها بوعدٍ خلاّب ! ؟
وأُقسِمُ على ذلك بالزُّورِ والبُهتان ! وبهذه الخسّةِ الدّنيئة ! ؟
آه ! إني لأربأ بنفسي من هذه الخِدْعة[1] الحقيرة ؛ ٧٥٥
ولو أن قلبَكِ كان أقلَّ حباً لها وتقديراً ،
لكنتُ رأيتُكِ أولَ من يخجلُ من ذلك دونَ ريب .
على أنني لكي أُعفيكِ من هذا التوَسُّلِ الظالم[2]
ها أنا ماضٍ لِتَوّي لأرى روكسان ،
فوداعاً . سأتركك الآن . ٧٦٠

أتاليد أما أنا فلن أتركَكَ .
تعالَ أيها القاسي . تعالَ لأقودنَّك اليها ؛
فلن يطلعُها على كلّ أسرارنا أحدٌ سواي :

1) Détour. 2) Injuste prière.

وبما أن حبيبي الذي دلّهه الحب ، يلذّ له كثيراً
أن يموتَ أمام عينيّ بالرّغم من دموعي ،
فان روكسان ستجمعُ ما بيننا شئتَ أم أبيتَ : ٧٦٥
وسيبلغُ بها التعطشُ الى دمي أكثر من دمك مبلغاً كبيراً ؛
وحينذاك سيمكنني أن أُقدّم لعينيك المذعورتين
مشهدَ الدماءِ الذي كنتَ تُعدّه لي .

بايزيد : — يا للسماء ! ماذا أنت فاعلة ؟

أتاليد : — أيها القاسي ! أوَ يُمكنكَ أن تظنّ
أنني أقلّ منكَ غيرةً على مجدي ؟ ٧٧٠
وهل تعتقد أن خجلي لم يكن على وشك
أن يفضحَني حين دفعتُك — مائة مرة — الى الكلام ؟
بيد أنهم كانوا يؤكدون لي هلاكك العاجل .
فلماذا يجوزُ لك — أيها الجاحد — ألا تتجاسرَ من أجلي
على ما كنتُ أتجاسر عليه من أجلكَ طالما تأكدتَ
من هلاكي ؟ ٧٧٥
فلعل كلمةً واحدةً أكثرَ عذوبةً ورقةً
تجعل روكسان تغفرُ لك في سرّها .
ولقد رأيتَ بنفسك الوقتَ الذي منحتكَ إياه :
فهل أخرجتِ الوزيرَ حين غادرَتْكَ ؟
وهل ترى أن الحرسَ سيأتون ليعتقلوكَ أمامي ؟ ٧٨٠

وبعدُ ألمْ تكشِفْ لي دموعُها عن حبِّها وَرِقّتِها
حينما توسّلتْ إليَّ وهي غاضبةٌ ناقمة ؟
لعلها لا تنتظرُ سوى أملٍ — سَراب[1]
يجعلُها تلقي سلاحَها وتستسلم .
إذهبْ يا سيدي ، وانقذْ حياتَك وحياتي .   ٧٨٥

بايزيد : — حسناً ... ولكن بأيِّ حديثٍ أُبادرُها ؟

أتاليد : — آه ! هل لكَ ألاّ تستشيرَني أبداً في هذا الأمر ؟
قد تستطيعُ السماءُ أن تُلهِمَكَ إياه عند أول سانحة .
إذهبْ : عليَّ ألاّ أَظْهَرَ بينكما أبداً :
فقد يفضَحُنا اضطرابُكَ أو اضطرابي .   ٧٩٠
إذهبْ ، مرةً أخرى ، إني لا أجرؤُ على الظهور هناك.
قلْ .. كلَّ ما ينبغي لإنقاذِكَ يا سيدي .

* * *

1) Espoir incertain.

الفصل الثالث

المشهد الأول

أتاليد – أزاهير

أتاليد : – أحقاً إذن يا أزاهير ان العفوَ عنه قد صَدَر ؟

ازاهير : – لقد أخبرتُكِ بذلك يا سيدتي : هناك جاريةٌ منهمكة
منطلقةٌ من لَدُنِ روكسان في بعض أمرِها ، **٧٩٥**
قد استقبلتْ الوزيرَ أمام القصر .
لم يُكلّماني قط ، ولكنّ انفعالات الوزيرِ الظاهرة
على أساريرِه ؛
كانت تُفْصِحُ – أكثرَ من أيةِ لغةٍ أخرى –
عن أن حدثاً سعيداً يستدعي عودته السريعة إلى القصر ،
لِيُوَقّعَ على عهد سلام دائم[١] . **٨٠٠**
لقد اتخذتْ روكسان دون ريب طريقاً أكثر اعتدالاً .

---

١) انظر البيت ٥٧١ والبيت ٦٦٣ حيث طلبت أتاليد من الوزير ألا يبتعد عن القصر .

أتاليد : — وهكذا تنأى عني من جميع الجهات
المباهجُ والأفراحُ ـ يا أزاهير ـ وتسيرُ في رِكابها :
لقد قمتُ بما يجبُ عليّ ، ولست بنادِمة .

أزاهير : — عجباً يا سيدتي ! ماذا يكون هذا الهمّ الجديد ؟ ٨٠٥

أتاليد : — أوَ لمْ يقولوا لكِ يا أزاهير بأيّ سِحرٍ
أو بالأحرى بأيّ عهدٍ
استطاعَ بايزيد أن يُحْدِثَ هذا التغييرَ الصاعق ؟
وروكسان التي كانت تبدو متصلّبة في غضبها وهياجها،
تُراها أخذتْ على قلبه عهداً أكيداً ؟ ٨١٠
تكلمي . هل سيتزوّجها ؟

أزاهير : — لم أعلم شيئاً بعد .
غير انه اذا لم يستطع أخيراً أن يُنقذ نفسه إلا بهذا الثمن
واذا عمِلَ ما سبق أن أشرتِ به عليه ،
وبكلمة ، إذا تزوجها ...

أتاليد : — إذا تزوجَها يا أزاهير ؟

أزاهير : — ماذا ؟ أتندمين على أقوالٍ كريمةٍ ٨١٥
كان يوحيها اليكِ حرصُكِ على حياته ؟



السلطان مراد الرابع

أتاليد : — لا . لا : انه لم يفعل إلا ما يجب عليه فعلُه[١] .
فاخرسي أيتها المشاعرُ الغيرى :
إن بايزيد حين يتزوجها يُجري بذلك مشيئي ؛
فاحترمي أيتها المشاعرُ فضيلتي التي انتصرت عليك، ٨٢٠
ولا تخلُطي أبداً بينَك وبين تلك النصائح الجليلة ؛
وهيهاتِ أن تُصوّريه لي مرتمياً بين أحضانِ امرأةٍ اخرى ،
دعيني أتمثّله في خاطري بلا حسراتٍ ولا زفرات
متربعاً على العرش الذي أرغمه حبي على ارتقائه .
أجل ، إنني أعرف ، فأنا ما زلتُ أنا .. ٨٢٥
كنت أريد أن يهواني — يا أزاهير — وها هو لا يزال :
إن هذا الأملَ ليُعزّيني اليومَ على الأقل
بانني سأموت جديرةً به راضيةً عنه .

أزاهير : — أن تموتي ! ويحك ! أوَ تملكين مثل هذا العزم المشؤوم؟

أتاليد : — إني تخليتُ عن حبيبي ؛ ثمّ تُدْهَشينَ مِمّا يَحدُثُ
بعدَ ذلك ! ٨٣٠
أيمكنُ لك يا أزاهير أن تجعلي في عِداد المصائبِ[٢]
هلاكاً يتدارك الدموعَ أو يتلافاها ؟

---

١) ان أتاليد تريد أن تقنع نفسها بأن بايزيد إذ يقدم على الزواج من روكسان فانه لا يفعل ذلك الاّ مرغما .

2) Au nombre des malheurs.

ليعِشْ هو وهذا يكفيني . لقد أردتُ ذلك بلا ريب؛
وإني لأريدُه على الدوام ، مهما كان الثمن .
أنا لا أُقيمُ وزناً لسعادتي أو لشقائي[1] :   ٨٣٥
إنني أُحبُّه حباً يبلغُ بي حدّ التخلي عنه .
ولكن واأسفاه ! بإمكانه أن يفكرَ بحقٍّ
في أنني إذا استطعت أن أُقدّم من أجله تضحية كبرى،
فإن هذا القلبَ الذي يرعى حياتَه رِعايةً مَشؤومة ،
لَيُحِبُّهُ كثيراً بحَيْثُ يُصْبِحُ هوَ دَليلاً على هذهِ
التَّضْحِيَة .   ٨٤٠
هيا بنا ، أريد أن أعرف ...

أزاهير : — هَدّئي رَوْعَكِ ، رحماكِ :
ها هم قادمون ليُحيطوكِ علماً بكل ما حدث .
إنه الوزير .

*

1) Je n'examine point ma joie ou mon ennui
J'aime assez mon amant pour renoncer à lui

المشهد الثاني

أتاليد – حكمت – ازاهير

حكمت : – وبعدُ فان عاشقَيْنا مُتّفِقان يا سيدتي ؛
إن ريحاً مواتيةً تميلُ بسفينتنا الى شاطىء السلام .
فالسلطانة قد ألقتْ بسلاح الغضب جانباً ؛ ٨٤٥
لقد أفصحَتْ لي عن قرارِها الأخير ؛
وإلى أن تُظْهِرَ للشعب المذعور
العَلَم – النذيرَ لرسولِ الله
فما على بايزيد إلاّ أن يتأهّبَ للسير على خُطواتي ،
إني سأفهِمُ هذا الشعبَ سرَّ ذلك النذير ٨٥٠
وأملأ الأسماعَ بخبرٍ خطيرٍ
وأُعلِنُ أخيراً قيامَ السلطانِ الجديد .
وفي هذه الأثناء اسمحي أن أُجدّدَ لك

ذكرى العهدِ الذي قُطِعَ فيما مضى لإخلاصي[1] .
على ألاّ تنتظري مني أبداً لواعجَ عذبة ٨٥٥
كتلك التي أراها تنبعِثُ من قلبَيْ هذين العاشقين .
ولكن إذا استطعتُ بخدماتٍ أكثرَ جدارةً بسنّي
وباحترامات بالغةٍ وبعبوديّةٍ هوًى آسر ،
تفرِضُ علينا تقديمَها لكلّ من ينتمي الى سلاطيننا...

تاليد : — تستطيع أن تخبرني بذلك مع الزمن . ٨٦٠
ومع الزمن أيضاً تستطيع أن تعرفني .
ولكن ما هي تلك العواطفُ التي حملتك على الظهور أمامي؟

حكمت : — سيدتي ، أوَ تشكّين بزفرات لاهبة يُصعّدُها قلبُ
عاشقين شابين مفتونين ؟

أتاليد : - كلا ، ولكنّ هذه الأعجوبة لتُدهشني وأيْمُ الحقِ ٨٦٥
فهل ذكروا بأي ثمنٍ غفرتْ له روكسان ؟
وبعدُ ، أتراه يتزوجها ؟

حكمت : — سيدتي .. اني اعتقد ذلك .

---

١) انظر البيتين ١٧٥ — ١٧٦ . يظهر ان روكسان وبايزيد كانا متفقين على أن يتزوج حكمت من أتاليد . أما لماذا بني الفعل (قُطِعَ) للمجهول فذلك لكي لا يُشار الى اسم من قطع ذلك العهد . وفي اعتقاد حكمت أن أتاليد هي التي قطعت هذا العهد .
(المترجان)

اليكِ كلَّ ما حدثَ تحت سمعي وبصري :
لقد خرجتُ من القصر يائساً شقياً ،
مندهشاً حقاً من سورةِ غضبهما المتبادَل ، ٨٧٠
راثياً العاشقين ، والحبَّ ، والحظَّ .
وهناك على المركب المُعدّ الراسي في الميناء ،
المحمَّلِ بحطامي[1] وبقايا مُتاعي الثمين ،
كنت أنشدُ حينذاك هروباً بي الى ديارٍ غريبة .
وفي غمرةِ هذا القرار الحزين استُدعيتُ الى القصر ، ٨٧٥
فهرعتُ بل طرتُ محلقاً بجناحَي البهجة والأمل .
ثم انفتحَ بابُ السراي عند سماعِ صوتي ؛
فظهرتْ أوّلَ الأمر جاريةٌ أمام عينيّ ،
وقادتني بهدوء الى إحدى المقاصير
حيث كانت روكسان تُصيــــخُ السمع الى العاشق
الولهان . ٨٨٠
كلُّ شيءٍ كان يحتفظُ أمامَها بصمتٍ مُهيب :
أنا نفسي — وقد قاومتُ نفادَ صبري —
مُحترِماً عن كثبٍ سرَّ حديثِهما ،
رحت أراقب وقارهما ووجومهما بلا حراك مدة طويلة .
وبعينين كانتا ترُوْدانِ مَجاهِلَ روحِه ، ٨٨٥
مدّت اليه روكسان أخيراً يدَها عربوناً لولائها وحبها ،

1) Débris.

أما هو يا سيدتي ، فقد أكَّدَ لها بدَوْرِه
حبَّه وهيامَه بنظراتٍ والهةٍ مفعمةٍ بالجوى والصبابة[1].

أتاليد : — ويلاه !

حكمت : — وفي هذه اللحظاتِ أبصرَني كلاهما .
« هاكَ — قالت لي — أميرَك وأميرَنا » . ٨٩٠
« إني سوف أعهَدُ به اليكَ أيها الطبيب حكمت » .
« هيا وأعِدَّ له مَراسِمَ تليقُ بالسلاطين » ؛
ولينتظرْه الشعبُ المُطيعُ على أبوابِ المسجد[2] » .
« ولسوف يضرب لك السراي عماقريب المثل القدوة » .
عندئذٍ تراميتُ على قدَمَيْ بايزيد ؛ ٨٩٥
ومن ثم تواريْتُ عن أعينهما .
وها أنا أجِدُني سعيداً إذ أسردُ عليكِ
خبرَ اتفاقِهما سَرداً أميناً ،
وإني إذ أرفعُ إليكِ أسمى آياتِ احترامي وعميقَ تقديري ،
سآخذُ على عاتقي يا سيدتي أمرَ تتويجه بيدي . ٩٠٠

---

١) اذن فحكمت لم يسمع ما دار بينهما من حديث . وهذه اشارة مهمة من أجل تتمة الرواية .

٢) في الأصل وردت كلمة « معبد » ووجدنا ان كلمة « مسجد » هنا أصح .

المشهد الثالث

أتاليد – ازاهير

أتاليد : – هيا بنا ننسحبْ . لا نقلقنّ أبداً بهجةَ أفراحِهما .

أزاهير : – آه ! يا سيدتي ... صَدِّقي ...

أتاليد : – ماذا تريدين أن أُصدّق ؟
ويحك ! أَأَظهرُ أمام مشهدٍ كهذا ؟
أنتِ تَرَيْنَ أن الأمرَ قد فات ، وأنهما سيتزوجان
وأنّ السلطانةَ تبدو راضيةً مَرضيّةً حينَ أكَّدَ
لها حُبَّه . ٩٠٥
على اني لا أشكوه ولا أشكو منه فأنا التي أردت ذلك .
ومع هذا أفكنتِ تعتقدينَ أنه – وهو الحريصُ
على عهدِه –
سوف يُضحّي بنفسِه من أجلي حباً وكرامة ؟
ولما رفضَ قلبُه تحقيق أبسطِ الوعود لروكسان ،
مُعبِّراً لي منذ هنيهة عن وفائِه وحنانِه ، ٩١٠

وحينما كانت دموعي تحاولُ عَبَثاً أن تثيرَه ؛
أكنتِ تعتقدين أن قلبَه – رُغم كلّ المظاهر –
يجد كلّ تلك البلاغةِ لإقناعِها ،
في الوقتِ الذي كنتُ مُستَبْشِرةً بِضَعْفِ تأثيرِ هذه الدُّموع ؟
آه ! ربما كلُّ ما استطاع أن يقولَه بعد هذا ٩١٥
قد فكّر فيه دون كبيرِ عَناء ؛
ولعله حين أبصرَها ، وكان أشدّ حساسيةً في حبّه لها
رأى في عينيها بعضَ سحرٍ جديدٍ[1] وفتنةٍ طاغية .
فاسترسلتْ أمامه في اطلاق آلامها وأشجانِها ؛
انها تحبه ؛ ومُقامُها الرفيع يُضفي على دموعها مهابة وقوة : ٩٢٠
فلا بدّ لكلِ هذا الحبِ من أن يُصيبَ النفوسَ الكريمة .
واأسفاه ! كم من دوافعَ تعملُ ضدّ شقيةٍ تاعسة مثلي .

ازاهير : – غير ان هذه النهاية – يا سيدتي – لم تتأكد بعد .
انتظري .

أتاليد : – كلا ، انك ترَين انني أنفي ذلك عبثاً ،
فأنا لا أجد لذةً أبداً في مضاعفة بؤسي وشقائي ؛ ٩٢٥

1) Quelque grâce nouvelle.

انني أعرف ماذا كان عليه أن يفعله لأنقاذِ نفسِه .
فحينما دفعتْه دموعي الى أحضانِ روكسان ،
لم أدّعِ مطلقاً انه لم ينفّذْ رغبتي ويعمل بمشيئتي .
ولكن بعد الوداع الذي سمعتُه منه ،
وبعـــد كل تلك الأشجانِ لألمٍ عذبٍ كهذا الذي
أَلمَّ بي ، ٩٣٠
بُتّ أُدركُ أنه لم يكن عليه قط أن يتوقع
المباهجَ والمسرات التي حدّثوني عنها .
لكِ أنتِ أن تحكمي علينا ، فانظري اذا كنت أخدع نفسي :
لماذا أنا وحدي أُستثنى من ذلك القرار[1] ؟
أهكذا يُجحَفُ حقي في تقرير مصير بايزيد ؟ ٩٣٥
أوَ تُراه ينتظرُ طويلاً قبلَ أن يفتقدَني ؟
إلا اذا منعَه قلبُه من افتقادي والعودةِ اليّ ،
ولم يُصغِ الى تبكيتِ ضميره ونداء حُبّه القديم .
ولكن لا ، اني أريد حقاً ان أوفّرَ عليه هذا الهم :
لن يراني أبداً . ٩٤٠

أزاهير : — ها هو ذا يا سيدتي .

---

١) قرار تنصيبه سلطاناً .

المشهد الرابع

بايزيد — أتاليد — أزاهير

بايزيد : — قُضِيَ الأمر . فقد تكلمتُ ونفّذتُ أمرَك .
لن تخشَيْ على حياتي بعد الآن يا سيدتي ؛
وإني قد أكونُ سعيداً لو أن عهدي وشرفي ،
لا يلومانِي على سعادتي الظالمة ؛
ولو أن قلبي الذي يُدينُني في سرّي ، ٩٤٥
استطاع أن يصفحَ عني كما صفحتْ روكسان .
غير أني أجدُني أخيراً شاكياً السلاح[1] ؛
فأنا إذن حر ، وبإمكاني أن أُزاحِمَ في هذه الديار ،
أخاً قاسياً ، على قلبِ عشيقته ،
لا بصَمتٍ تدعَمُه مهارتُك ، ٩٥٠
بل بمعاركَ مكشوفةٍ حقيقيةٍ ومخاطرَ نبيلة ،
باحثاً عنه في أقاليمَ غريبةٍ نائية[2] ،

1) Les armes à la main.   2) Aux climats étrangers.

لأنا زِعَه قلبَ الشعبِ والجيش ،
مُتَّخِذاً الشهرةَ حكَماً بيني وبينه .
ماذا أرى ؟ ماذا جرى ؟ أتبكين ؟ ! ٩٥٥

أتاليد : — كلا يا سيدي ،
أنا لا أتذمّرُ من سعادتِك .
إن السماءَ ، السماءَ العادلةَ تدين لك بهذه المُعجزة .
إنك تعلم إذا كنتُ قد حلتُ يوماً بينك وبين سعادتك :
فعيناكَ هاتانِ شاهِدتان عليّ ما حييتُ ،
والخطرُ الذي أحدَقَ بكَ كان وحده يُشغِلُني
ويُؤرِّقني[1] ؛ ٩٦٠
ولما لم يستطع أن يزولَ إلاّ بزوالي ،
فقد صممتُ على ان أضحي بحياتي غير آسفة .
حقاً لو أن السماءَ استجابت لرغباتي ،
لو أنها استطاعت أن تمنحَني موتاً أكثرَ رَوْحاً[2] :
لما كنتَ تزوجتَ من غريمتي ؛ ٩٦٥
وعلى أي حـــال فانت تستطيعُ أن تؤكدَ لها
عهودَ الزواج ؛
غير أنك لا تستطيع أن تجمعَ الى لقبِ الزوجِ

1) Que votre seul péril occupait tous mes soins.

٢) هدوءاً نفسياً .

شرفَ عهودِ الحبِ التي تقبّلتَها منك[1] .
إن روكسان لتعتبرُ أنها جوزيَتْ خيرَ الجزاء :
وسأحمِلُ حين أموتُ هذه الفكرةَ العذبة 970
أنني دفعتُك اليها ، وقلبُك طافحٌ بحبي ،
حين فرضتُ عليكَ بنفسي هذا القرار ؛
وأنا إذ أحمل الى عالم الأبدية كلّ حنانِك وحبّك
فاني لا أتركُ لها فيك أبداً عاشقاً أو محبّاً .

بايزيد : — ماذا تتحدثين يا سيدتي، أيُّ زوج وأيُّ عاشق؟ 975
يا للسماء ! ما هي دوافع هذا الحديثِ ودواعيه ؟
تُرى ، من استطاع أن ينقلَ اليك مثلَ هذا الافتراء ؟
سيدتي ، أأنا أحب روكسان أو أحيا من أجلها ؟!
حاشا لي ان أفكرَ في أمرٍ كهذا[2] . 980
آه ! أوَ تعتقدين أن لسانيَ استطاع أن ينطق بذلك ؟
بيْدَ انه لا النطقُ ولا التفكيرُ كانا ضروريّين على
الإطلاق :

١) ذلك لان أتاليد تعتقد ـ كما نقل لها حكمت ـ أن بايزيد منح روكسان تلك العهود الامر الذي لم يتأكد بعد . وسوف تُعرف الحقيقة قبل نهاية المسرحية .
انظر البيتين رقم ٨٨٧ و ٨٨٨ .

٢) وهنا يبدد بايزيد مخاوف أتاليد التي عبرت عنها في البيت رقم ٩١٦ .

وكلُّ ما في الأمر أن السلطانة استجابت لميْلِها
المألوفِ[1] نحوي ؛
ولعلها فسَّرتْ باديء الأمرِ عودتي
على أنها عهدٌ وميثاقٌ يدُلان على حبي لها ؛
أو ان الوقتَ الثمينَ لديها هو الذي عجَّل برضوخها، ٩٨٥
اذ أنني ما كدتُ أتكلم ــ وبدون أن تسمعني ــ ،
حتى انهمرت دموعُها قاطعةً عليَّ حديثي :
لقد ائتمَنَتني على مصيرها[2] وحياتها ،
وحين اطمأنتْ أخيراً الى قبولي ،
داعبها أملٌ وطيد بزواجٍ محتوم[3] . ٩٩٠
أنا نفسي حين خجلتُ من سذاجتها[4] ،
ومن حبِّها الشديدِ العُذوبةِ الذي لا أستحقه ،
فقد وجدتـُني يا سيدتي متوحشاً أثيماً قاسياً،
في ارتباكي[5] الذي نسَبَته روكسان ،
الى فرطِ حبي لها وهُيامي[6] . ٩٩٥
صدّقيني انه كان عليَّ في تلك اللحظات العصيبة ،
أن أتذكرَ كلَّ ما يعتلجُ في قلبي من حبٍّ لك ،
لكي احتفِظَ أمامها حتى النهاية بصمتٍ خادعٍ خؤون.
ومع ذلك فحينما أجيءُ لأبحثَ عن نجدةٍ ما

---

1) Son penchant ordinaire.
2) Sa fortune : sa destinée.
3) Infaillible.
4) Crédulité.
5) Confusion.
6) A l'excès de ma flamme.

تعينُني على تأنيبِ ضميري ، وبعـــد كلّ هذه الجهود
المضنية   ١٠٠٠
اذا بي أراكِ — أنتِ نفسـكِ — ناقمةً عليَّ
محمّلةً نفسي المضطربة جريرةَ موتِك .
وبعدُ فاني أرى ، أجل أرى ، في هذه اللحظات بالذات
ان كلّ ما أقولـُه لكِ يذهبُ معكِ أدراج الرياح .
سيدتي ، لِنضع حداً لاضطِرابك واضطرابي   ١٠٠٥
ولنقلعْ عن ان يكدرَ بعضُنا بعضاً على غير طائل .
ان روكسان ليست ببعيدة ، فدعيني أعمل بوحي ضميري :
لسوف أعودُ إليها أكثرَ جذلاً وحبوراً
مبدداً عن عينيها غشاوةَ حبي المُصطنَع
الذي كنتُ منذ هنيهة على وشك اخفائه عنها. ١٠١٠
ها هي قادمة .

أتاليد : — يا لِعدل السماء ! في أيّ مَهلكَة يَسير ؟
إذا كنتَ تهواني فحذارِ أن تبددَ تلك الغَشاوَة

* * *



روكسان : — تعال يا سيدي تعال : لقد آن لك ان تظهر

المشهد الخامس

بايزيد — روكسان — أتاليد

روكسان : — تعالَ يا سيدي تعال : لقد آن لك ان تَظهرَ ،
وان يعترفَ بك رجالُ السراي سيداً عليهم :
كلُّ هذا الحَشدِ الحاشدِ الذي يُقيم فيها ، ١٠١٥
والذي جَمَّعتهُ لك بأمري ينتظرُ كلمتَك .
ان عبيدي الذين استمَلتُهم والذين ستتبَعُهم بقيةُ الشعبِ
هم أوّلُ من يقدّمهم لك حبي من رعاياي .
أتصدّقين يا سيدتي[1] ان عودةً سريعة كهذه ،
تُحيلُ نقمتي وغَضبي حُبّاً وهُياماً شديدين ؟ ١٠٢٠
لقد أقسمتُ على انه سيلاقي حتفَه هذا النهارَ
حينما عزمتُ منذ لحظاتٍ على الانتقام لنفسي :
ولكن بايزيد ما كاد يتكلمُ
حتى نقَضَ الحبُ عهدَ الانتقام ؛

---

١) تخاطب أتاليد .

فتيقنتُ حينئذٍ اني ألمحُ حبَّه من خِلالِ ارتباكه : ١٠٢٥
لقد أعلنتُ عفوي عنه واني لعلى يقينٍ من وفائه .

بايزيد : — أجل ، لقد منحتُكِ عهدي ووعدتكِ
بألا أنسى أبداً كلَّ بما أدينُ به اليك ؛
لقد أقسمتُ بأنَّ مساعيَّ ومجاملاتي الصادقة
ستؤكدُ لكِ على الدوامِ اخلاصي وعرفاني . ١٠٣٠
واذا ما استطعتُ بهذا الثمنِ أن أكون جديراً بألطافكِ
فلسوف أنتظرُ عواقبَ هذه الألطاف .

★

المشهد السادس

روكسان - أتاليد

روكسان : — يا للسماء ! أية صاعقةٍ أصابتني !
أأحلمُ ؟ وعيناي هاتان ألا تخدعاني ؟
ما هذا اللقاء المتجهّمُ منهوهذا الحديثالفاترِ[1] ١٠٣٥
الذي بدا وكأنه ينقضُ كلّ ما حدث ؟
تُرى أيّ أملٍ يجدني مسحورةً به ،
أوَ يظنُ أنه استعادَ به صداقتي الضائعة ؟
لقد توهمتُ أنه أقسمَ لي
ان حبّه سيجعلني سيدةَ مصيرِه حتى الموت. ١٠٤٠
تُراه ندِمَ على تسكينه لرَوعي ؟
ولكن ، أيمكنُ لي ـ أنا بالذات ـ أن أُخدَعَ بسهولة؟
آه[2] !... ولكنه كان يحدِثكِ : فماذا كانت

---

1) Discours glacé.

٢) هذه الاشارة ليست للتأوه هنا بل هي علامة استغراب وتعجب أطلقتها روكسان حين بدا عليها الشك في لقاء بايزيد وأتاليد وتواطئها عليها .

تلكَ الأحاديثُ يا سيدتي ؟

أتاليد : - يحدّثني؟ أنا، يا سيدتي ! كيفَ؟ وهو يهواكِ على الدوام.

روكسان : ألا فليَعلمْ أن موقفَه هذا قد يكلّفُه حياته ، ١٠٤٥
ولكن تفضّلي وأجيبيني كيف يمكنُ لكِ ،
أن تفسّري تلكَ الكراهيةَ التي أظهرها عند مغادرتي
مقابلَ كلّ هذه الهباتِ والمباهجِ التي غذّيتُه وأغذّيه بها[1]؟

أتاليد : - سيدتي، ان الكراهية المزعومة لم تلُحْ لناظري مطلقاً.
لقد حدّثني طويلاً عن ألطافكِ وأفضالكِ[2] : ١٠٥٠
كان صدرُه يطفحُ بها دائماً إبّان لقائنا :
فأيقنتُ انه لم يتغيّر اذ رأيته يخرجُ من لدُنْكِ كما دخل.
أوَ ينبغي لكِ يا سيدتي أن تُدهشي بعد كلّ هذا
- حين يوشكُ كلُّ شيء أن يتوجَ هذا الحدثَ الكبير[3] -،
من أن يَقلقَ بايزيد أو تبدُرُ منه ١٠٥٥
بعضُ إماراتِ الهم[4] التي تقُضُّ مضجعه ؟

روكسان : - ان حذاقتكِ - كما أرى - لمفرطةٌ جداً حين تبرّرين موقفَه ،

---

١) وهي : الحب والسلطنة والحرية . ٢) انظر البيت رقم ٢٧٣ .
٣) وتعني به زواج روكسان من بايزيد . 4) Soins.

فأنت تتكلمين لمصلحته بأفضل مما يتكلم هو .

اتاليد : — وأيةُ مصلحة سوى ...

روكسان : — كفى يا سيدتي .
إنني أفهمُ دوافعك أكثر مما تتصوّرين . ١٠٦٠
دعيني وشأني : انني بحاجة الى قليل من الوحدة .
فهذا النهارُ يُغرقني هو أيضاً في بحر من القلقِ والهواجس:
إن لي كما لبايزيد أحزاني وهمومي ؛
وبودّي لو خلوتُ اليها لحظةً بلا شُهود .

المشهد السابع

روكسان – وحدها –

ماذا ينبغي لي أنْ أستنتجَ من كلّ ما أرى ؟ ١٠٦٥
أيكونان مُتفقين كلاهما على خداعي ؟
لِمَ هذا التغيّرُ وهذا الحديثُ وهذا التواري ؟
ألم أفاجئهما عند مجيئي يختلسان بعضَ النظرات ؟
بايزيد مبهوت ! أتاليد مندهشة !
أيتها السماء ! أهكذا تصِمينني بهذه الإهانة ؟ ١٠٧٠
أيكونُ في ذلك ثمراتُ حبي الأعمى ؟
هذه الأيامُ العصيبة وتلك الليالي الكئيبة ،
ومساعيّ[1] ودسائسي وخيانتي المشؤومة ،
أأكون قد بذلتُ كلّ هذا من أجل غريمة ؟!
ولكنْ لعلني أيضاً أسرع كثيراً في تكدير نفسي، ١٠٧٥
حين أرقبُ عن كثبٍ هماً عابراً متوهماً :
فلأنسُبْ عاقبةَ نزوته الى حبه لي ،

---

1) Brigues.

وإلا أفما كان تمادى في مَكرِه حتى النهاية ؟
عجباً ! ألم يكن باستطاعته أن يتظاهر بالحب أمامي
لو أنه كان يبيِّتُ لي أمراً مريباً ؟ ١٠٨٠
لا، لا. إطمئني يا نفسُ: إن فرطَ حبي هو الذي يخيفني.
فلماذا أخشى اذن وجود أتاليد بين جوانحه ؟
وماذا يكونُ مرادُها ؟ ماذا فعلتْ من أجله ؟
وبعدُ فأيّتنا ستُتوَّجُه يا ترى هذا النهار ؟
ولكن واأسفاه ! أَتُرانا - يا نفسُ - نجهلُ سلطانَ
الحب ؟ ١٠٨٥
واذا ما اجتذبَتْه أتاليد بسحرٍ ما،
ما همَّ، فانه سيدينُ لي بصولجانه وحياتِه.
تُرى هل للألطاف أن تُطيحَ بالحب في قلبٍ من القلوب؟
وبعد كلِّ هذا، أأكونُ معترفةً بأفضالِ أخيه
حين يَعرفُ الجاحدُ كيف يأسِرُني ويستهويني؟ ١٠٩٠
آه ! اذا لم يكن هناك حب يَربطُه بعهد أو ميثاق،
أفيُخيفُه كثيراً عرضي الزواجَ عليه ؟
أوَ لم يَستجبْ لرَغبتي هذه غيرَ آسف ؟
أوَ تُراه يَرفضُ هذا الزواجَ حتى ولو كلَّفَه الرفضُ
حياتَه ؟
كم من أسبابٍ معقولةٍ وتعِلاّت ... ولكن مَنِ
القادمُ ليُحدثني ؟ ١٠٩٥
ماذا يريدون ؟

المشهد الثامن

روكسان — زاتيم

زاتيم : — أغفري لي تجاسري وتعكيري صَفوَكِ ،
ولكن يا مولاتي هناك عبدٌ قادمٌ من قِبَلِ الجيش ؛
ومع أن باب القصرِ كان مُوصَداً باتجاه البحرِ ،
فان الحرَسَ فتحوه على عجَلٍ وهم راكعون
إجلالاً لأوامرِ السلطانِ المُرسلة إليك .
على ان ما يُدهشني هو أنه أرسلَ أُركانْ بالذات .!

روكسان : — أُركانْ !

زاتيم : — أجل ، ومن بين كلِّ الذين يستخدمُهم السلطان ،
فان أُركان المولودَ تحت السماء المحرقةِ
لأكثر الأفارقة سواداً ،هو أشدُّهمُ وفاءً لتنفيذ رغباته .
مولاتي ، انه يطلبُكِ بفارغ الصبر .   ١١٠٥
ولقد رأيتُ انه من الواجبِ مبادرتي الى أعلامِكِ ؛

فاستَبقيتُه في مقصورتكِ
آملة ـ على الأخص ـ ألاّ يفاجئَكَ بأمرٍ جلَل .

روكسان : — أيةُ مصيبةٍ مفاجئةٍ[1] تزيدُ في بَلبَلتي وحيرَتي ؟
وما عسى أن يكونَ هذا الأمرُ ؟ وما عساني ان
أُجيب ؟ ١١١٠
لا تشُكّنّ في ذلك ، فالسلطان القلِقُ
قد أردَفَ حُكمَه على بايزيد بحُكمٍ آخر كما يخيل إليّ .
ألا ليس لأحدٍ أن يتحكم بحياته سِواي :
الكلّ يخضعُ لأمري هنا. ولكن هل لي أن أُدافع عنه؟
أيهما سلطاني ؟ بايزيد أم مراد ؟ ١١١٥
لقد خنتُ أحدَهما ؛ ولكنّ الآخرَ قد يكون
ناكراً للجميل .
الوقتُ يَزحَمُني . فما عساني صانعة في غمرَة هذا
الشكِ الوبيل ؟
هيا بنا ، لنستغلّ جيداً فضلَةَ الزمن اليسيرة .
عبثاً يتواريان[2] . فلا بُدّ للحبِّ الأشدّ تستّراً
من أن تكشِف سرّه بادرة تنمّ عنه . ١١٢٠
لنراقِبْ بايزيد . ولنُباغِتْ أتاليد .
لنتوِّجِ الحبيبَ أو لنخسَرِ الخائن .

1) Imprévu. 2) Ils ont beau se cacher.

الفصل الرابع

المشهد الأول

أتاليد — أزاهير

أتاليد : — آه ! هل تُدركينَ مدى مخاوفي ؟ هل تعلمين
اني رأيت ههنا أركان الفظّ بوجهه الجهمِ الغليظ ؟
لكم أُوجِسُ خيفةً من مجيئِه في هذه اللحظة
العصيبة ! ١١٢٥
لكم أخشى ... ولكن خبريني ، هل رآكِ بايزيد ؟
ماذا قال ؟ أتُراه سيُذعنُ يا أزاهير لأقوالي ؟
هل سيذهبُ ليرى روكسان ويُزيلَ شكوكها ؟

أزاهير : — لن يستطيعَ بعد الآن أن يراها دون استئذانها :
هكذا أمَرَتْ روكسان وَهيَ تريدُ أن ينتظرَ
أمرَها . ١١٣٠
لا ريبَ انها تريدُ اخفاءَه عن ذلك العبد الزنيم .
لقد تظاهرتُ ، حين رأيته ، بأني لم أسْعَ اليه قط .

ولقد أودَعتـُه رسالتَك وأخذتُ جوابَها
ولسوف تعلمين يا مولاتي ما ينطوي عليه .

أتاليد : — (تقرأ الرسالة)
«هل ينبغي لحبك أن يدعوني الى تجاهله» ، ١١٣٥
« بعد كل تلك المصانعة والمداورة الظالمة[1] ؟ »
« ولكنني سأرعى حياةً »
« أقسمتِ لي أنها مَرهونة بحياتكِ » .
« سأرى السلطانة ، وسأسَكّنُ غضبَها ؛
« إذا استطعتُ بمصانعتي » ، ١١٤٠
« وبعهود جديدة تؤكد إخلاصي وجميلَ عِرفاني » .
« فلا تفرضي عليّ ما لا أُطيق، فلا الموتُ ولا أنتِ »
« لن تستطيعا أبداً أن تدَعاني ألهَجُ بحبها » ،
« ذلك لأني لن أحبَّ أبداً أحداً سِواكِ » .
— وأسفاه !ماذا يقول لي، أيعتقد انني أجهَلـُه؟ ١١٤٥
أوَ لا يكفيني يَقيني بانه يُحبُني بل ويعبُدُني ؟
أوَ هكذا يعرفُ كيف يُدغدِغُ أمانيّ ؟
انها روكسان ، ولست أنا ، التي يجب إقناعَها .
بأي خوفٍ راعبٍ يريد ان يلـُفـّني ؟

[1] إشارة الى المشهد الخامس من الفصل الثالث وعلى الأخص البيت رقم ٩٩٥ وهنـا يرفض بايزيد أن يقوم بمداورات جديدة .

يا للعَمى المشؤوم ! يا للغَيرة الخادعة[1] ! ١١٥٠

يا للحديثِ الكاذب والشكوك التي ما استطعتُ لها كتمانا[2] ،

هل كان عليّ ان استمعَ إليكِ ؟ أو كان عليّ أن أتكلم[3] ؟

لقد انتهى كلُّ شيء وتجاوز انتظاري سعادتي وهنائي .

كنتُ محبوبةً ، سعيدة ، وكانت روكسان راضية مرضية .

ويا أزاهير : عُودي — إن قَدِرْتِ — من حيثُ أتيتِ : ١١٥٥

ليُهدّىء روعَها . فكلماتُ الرسالة هذه لا تكفيني :

ليُطمْئِنْها لسانُه وعيناه أنه يهواها

ولتُصدّقه أخيراً . وأنا نفسي لمَ لا يسَعُني

ان أضَعَ في حديثه معها كلّ ما يضطرِمُ به فؤادي

حين ألهِبُ بدموعي تَباريحَ قلبه المنطفئة ؟ ١١٦٠

ولكنني أخشى أن أعرّضه لمخاطرَ جديدة .

أزاهير : — إن روكسان قادمة اليك .

أتاليد : — آه ! لنُخْفِ هذه الرسالة .

---

1) Funeste aveuglement ! Perfide jalousie !

2) Récit menteur, soupçons que je n'ai pu celer

3) Fallait-il vous entendre, ou fallait-il parler ?

المشهد الثاني

روكسان – أتاليد – زاتيم – أزاهير

روكسان : — (تخاطب زاتيم)

تعالي . لقد تلقيت هذا الأمر . يجب أن نخيفَها .

أتاليد : — (تخاطب أزاهير)

هيا ، أسرعي ، وحاولي أخيراً أن تُقنعيه . . .

★

المشهد الثالث

روكسان – أتاليد – زاتيم

روكسان : – لقد تسلّمتُ رسائلَ من الجيش يا سيدتي . 1165
فهل أنتِ على علمٍ بكل ما يجري هناك ؟

أتاليد : – لقد قيلَ لي إنّ عبداً جاء المعسكر :
أما الباقي فهو سرٌ أجهلَه .

روكسان : – إن مراداً لسعيد : لقد ابتسم له القَدَرُ يا سيدتي ،
ودخلتْ بغدادُ في حوزته . 1170

أتاليد : – ماذا يا سيدتي ؟ وعثمان ...

روكسان : – لم يكن على علمٍ بما حدث ،
إذ ان ذلك العبدَ قدِمَ[1] بعدَه مباشرة .
لقد قُضِيَ الامر .

---

1) من المعسكر .

اتاليد : — يا للمصيبة !

روكسان : — وثالثةُ الأثافي[1] ،
سَلَـه‍ان السلطان الذي ار انطلَـقَ هو ايضاً على أثرِه.

اتاليد : — كيف ؟ والفُرسُ المسلّحون ألا يوقِفونه إذن ؟ ١١٧٥

روكسان : — كلا يا سيدتي : انه يَحُثُّ الخطى[2] إلينا حثاً .

أتاليد : — كم ارثي لك يا سيدتي ! وكم هو ضروري
أن تُسرِعي في إتمام ما قد عزمتِ عليه !

روكسان : — هيهات أن نُقاومَ المنتصِرَ . ١١٨٠

أتالبد : — يا للسماء !

روكسان : — إن الزمنَ لم يُلِن قناتَـه قطُّ .
وها أنتِ ترَين مشيئتَه السامية في قبضة يدي

أتاليد : — وماذا تراه طالباً منكِ ؟

روكسان : — أنظري : اقرأي أنت بنفسك .
انك تعرفين يا سيدتي خطَّه وختْمَه .

1) Pour comble de disgrâces. 2) Il revient à grands pas.

أتاليد : — انني لأتعرّف الى خط مراد القاسي .
(تقرأ)
« لقد أرسلتُ اليكِ أوامري المطلقة ١١٨٥
قبل أن تخضعَ بغداد لسلطتي ،
واني لا اريد أبداً أن أشكّ في طاعتك ؛
وثقي بان بايزيد لن يعيش بعد الآن .
إنني أترك بغدادَ خاضعةً لأحكامي ،
مؤكداً لكِ وأنا في طريقي اليك ما قد منحتُكِ من
سلطات . ١١٩٠
وأنتِ ، اذا كنتِ حريصةً على حياتِك ،
فلا تظهري أمامي إلا ورأسُه في يديك . »

روكسان : — يا للهول !

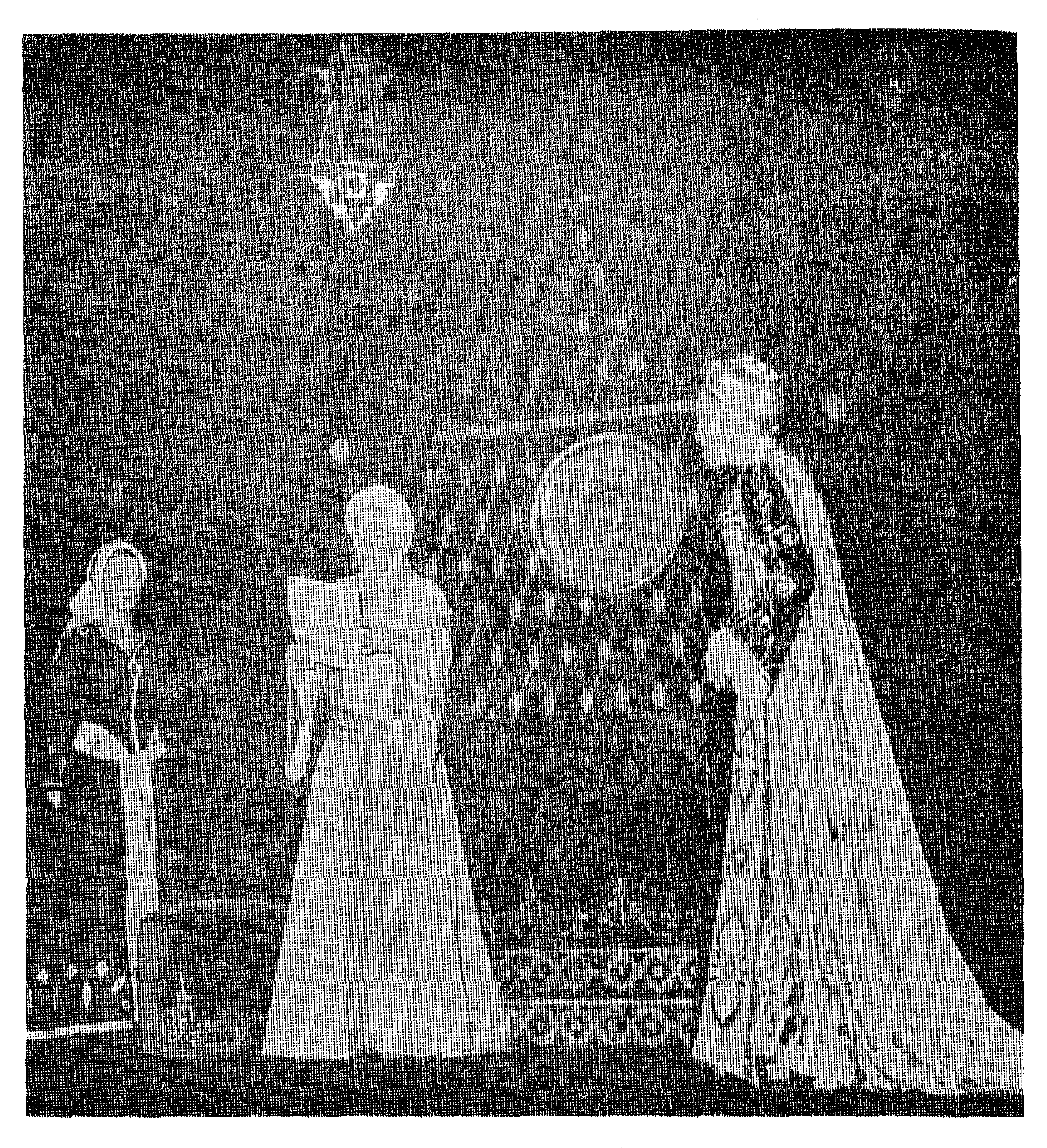
أتاليد : — (على حدة) إخفي دموعَك أيتها الشقية أتاليد .

روكسان : — وأنتِ ماذا ترَين ؟

أتاليد : — أرى انه لا يزال مُصمماً على قتل أخيه[1] .
ولكنه يصمّمُ على قتلِ أميرٍ لا سندَ له وبلا
محاكمة : ١١٩٥

---

1) Son dessein parricide.



أتاليد : — إنني لأتعرّفُ إلى خط مُراد القاسي .

فهو يجهلُ الحبَّ الذي يُهيبُ بكِ الى الدفاع عنه ؛
كما يجهلُ أنكِ وبايزيد جسدان في روحٍ واحدة ؛
وانكِ تُفَضّلين — إذا لزمَ الأمرُ — أن تموتي ...

روكسان : — أنا ، يا سيدتي ؟
بوُدّي لو انقِذُه ، إذ ليس بوسعي أن أكرَهَه ؛
ولكني ... ١٢٠٠

أتاليد : — ماذا إذن ! علامَ عقدتِ العَزمَ ؟

روكسان : — أن أطيع .

أتاليد : — أن تُطيعي ؟

روكسان : — وماذا أصنع في مثل هذا الخطر البالغ ؟
عليَّ أن أفعلَ ذلك .

أتاليد : — عجباً ! هذا الأميرُ المحبوبُ ... الذي يهواكِ [١]
أتراه سيَشهَدُ نهايةَ حياتِه التي كرَّسَها من أجلكِ ؟

---

١) سوء تصرف تستدركه أتاليد في الحال . وذلك حين نعتته بـ« المحبوب » بصورة عفوية مع أن موقفها يقتضيها كتم حبه .

روكسان : — عليّ أن أفعل ذلك؛ ولقد سبق أن أصدرت أوامري.

أتاليد : — إني أموت . ١٢٠٥

زاتيم : - إنها تتهاوى ولا تكاد تمسكُ أنفاسَها .

روكسان : — هيا ، إذهبي بها إلى الغرفةِ المجاورة ،
ولكن راقبي على الأخصّ نظراتِها وأحاديثِها
وكلّ ما يؤكدُ غرامَهما الخائن

المشهد الرابع

روكسان (وحدها)

إن غريمتي قد انكشفت أخيراً أمام عيني !
تأملي يا روكسان بأي عهد آمنت واستوثقت ! ١٢١٠
منذ ستة أشهر وأنا أظن أنها كانت
تسهر ليل نهار غيورة على رعاية حبي :
أنا التي لم تكن ساهرة ليلها ونهارها طوال هذه المدة
إلا لرعاية المهمة التي كلفتها بها[1]
والتي ما سعت إلا لتبحث عن وسائل ١٢١٥
تسهل لها لقاءات سعيدة هانئة ،
وحتى التي كثيراً ما كانت تحول دون رغبتها ،
فقد تعجلت – هكذا – لحظات حياتها الأمتع
والأعذب .

---

١) وهي مهمة انقلبت نتائجها على عكس ما كانت تتمنى روكسان التي بدت وكأنها مجرد منفذة لرغبات أتاليد .

ليس هذا كلّ شيء : عليّ الآن أن أوضحَ
إذا ما كانت قد نجحتْ في خيانتِها أم لا ؛ ١٢٢٠
أجل يجب ... ولكن ماذا عَسايَ أن أعلمَ أكثر ؟
أليس شقائي مكتوباً على جَبينِها !
أوَ لا أرى من خلال إغمائِها[1]
قلباً منغمِساً في آلامِه سعيداً بحبيبه ؟
وإذا ما بدتْ خاليةً من الشكوكِ التي أُعانيها ١٢٢٥
فلأنها لم تكن إلاّ من أجلِ حياتِه هَلوعةً مُرتاعة .
ما هَمّ : فلنُكملْ ... اذ يُمكنها مثلي
ان تطمئنّ إلى ما يبذله من وعودٍ كاذبة[2] .
ولكي نجعَله يَبوحُ بسرِّه فلْننصبْ له شرَكاً .
ولكن أيّ عملٍ كريه تُراني أفرضُه ؟ ١٢٣٠
ماذا اذن ؟ ألكي أفجّرَ بركان ازدرائه لي أمامي
أسعى جاهدةً الى تكديرِ صَفوي بيدي ؟
هو نفسُه يستطيعُ أن يستبقَ الأمورَ ويُفسدُ
عليّ أمري .
ثم إن أمرَ مُراد ، والعبدَ ، والوزيرَ : كلّ أولئك
يستعجلُني ،

1) Au travers de son saisissement.
١) أي عهد بايزيد. وهنا تبدو روكسان خلال هذه المناجاة متجنبة التلفظ باسم بايزيد.

يجب أن أتخذ قراراً[1] ، فالجميعُ ينتظرُني . لأتصرّف
بحكمة :　　　　١٢٣٥
انه لأحرى بي أن أُغضِيَ عن كلِّ ما رأيتُه ؛
لنَدَعِ البحثَ المكدِّرَ عن حبِّها الخؤون ؛
ولنُخرِجِ الجاحدَ ولنُمارسْ لعبةَ الحظ ؛
لنرقبْ اذا كان سيجرُؤ على خيانة الحب الذي أنقذَه ،
في الوقتِ الذي ترفعُه مساعيَّ الى ارتقاء العرش
والمجدِ ،　　　　١٢٤٠
واذا ما كانت يدُه الجاحدةُ لأفضالي
ستجسُرُ على تتويج غريمتي .
سأعرفُ على الدوام كيف أجدُ اللحظةَ المناسبة
لمعاقبةِ الغريمة والعاشقِ اذا جدَّ الجد :
إني إذ أراقب الغادر وأنا في خضمِّ غضبي ،　　　　١٢٤٥
سأعرفُ كيف أضبطُه وعشيقتَه أتاليد ،
وكيف أطعنها ثم أطعن نفسي في أثرهما
بخنجرٍ واحدٍ يجمعُ ما بينهما ويوحِّد مصيريهما .
ذلك هو القرارُ المحتَّم : فلا شك فيه ولا ريب .
لذا أريد أن أتجاهلَ كلَّ شيء .　　　　١٢٥٠

1) Prendre parti.

المشهد الخامس

روكسان – زاتيم

روكسان : — آه ! ماذا وراءَكِ يا زاتيم ؟
أيكونُ بايزيد مُدَلَّهاً بها أم ماذا ؟
هل رأيتِ من حديثهما أنهما على حُبٍّ ووفاق ؟

زاتيم : — انها لم تتفوّه بكلمة : فهي ما زالت مغشياً عليها ،
وليس فيها ما يدلُّ على أثرٍ من آثار الحياة
سوى زفراتٍ وآهاتٍ متواصلة ، ١٢٥٥
تبدو وكأنَّ قلبَها مستعدٌ لأن يُصعِّدَها في كل حين .
ولقد كشفتْ جواريك عن صدرها ليُلَمْلِمْنَ انفاسَها،
يحدوهُن في ذلك رغبةٌ في التخفيفِ عنها .
وحين رُحتُ أساعدُهن باهتمامٍ في عزمِهن ،
وجدتُ هذه الرسالةَ مدفونةً في صدرها : ١٢٦٠
واذ عرفتُ منها خطَّ أميرِكِ العاشق ،
رأيتُ من الواجب أن أضعَها بين يديك .

روكسان : — هاتِ .. لِمَ تَرتجفين ؟ وأنا أيُّ اضطرابٍ مفاجىء
يُجمِّدُني ويُرعِشُ يدي بهذه الرسالة ؟
أتُراه يكتبُ اليها دون أن يَمَسَّ شعوري ؟ ١٢٦٥
لِمَ لا ؟ لنقرأ ، ولنرَ ما يجولُ في خاطرِه :
« . . . . فلا الموتُ ، ولا أنتِ ،
لن تستطيعا أبداً أن تدعاني ألهَجُ بحبها ،
ذلك لأني لن أحبَّ أبداً أحداً سواكِ . »
ويلاه ! ها أنذا اذن أقفُ بنفسي على خيانتها ! ١٢٧٠
واكتشف الخديعة البشعة التي أوقعاني فيها .
أهكذا اذن كان جزاءُ حبي ؟ !
أيها الجبان، يا من لا تستحقُّ الحياة التي منحتُكَ إياها !
آه ! وبعدُ فإني لأتنفسُ الصُّعداء وان فرحتي لبالغة[1]
أن يكونَ الخائنُ قد فضحَ أخيراً نفسه بنفسه. ١٢٧٥
اما وقد تحرَّرتُ من همومٍ قاسية كدتُ أرتبطُ بها ،
فما على انتقامي المُبَيَّتِ الرهيب إلا أن يبطشَ .
ليمُتْ : لنأخذ ثأرَنا ، اسرعي ليُمسكوا به ؛
لتتسلَّحْ قبَضاتُ الخُرسانِ لتعذيبه ؛
ليأتوا وليُعِدّوا تلك المشنقة المشؤومة ١٢٨٠
التي تُنهي حياة أمثالِه من الخائنين .

1) Ma joie est extrême.

اسرعي يا زاتيم ، اسرعي ولـبّي نداءَ غضبي .

زاتيم : — آهٍ ! مولاتي !

روكسان : — ماذا اذن ؟

زاتيم : — هل لي أن أُسمِعَك صوتي الوَجِلَ ،
دون أن أُضاعف تعكيرَ صفوِكِ يا مولاتي ؟
أنتِ التي توغلين في غياهِب أشجانِك : ١٢٨٥
اني لأجدُ بايزيد غيرَ جديرٍ — حقاً — بأن يعيش ،
وإنه ليستحقُّ أن يُرمى بين مقابضِ هؤلاء القساة ؛
ولكن رُغمَ جُحودِه وخيانتِه ، أتعتقدينَ
ان مُراداً لن يخشى بعد اليومِ سواه[1] ؟
ومن يدري فلعلَّ هناك لساناً لئيماً ١٢٩٠
قد أبلغَه ما يضطرمُ به فؤادُكِ من حبٍّ جديد ؟
وأنتِ لا تجهلين ان قلباً كقلبه ،
لا يمكن استعادته — بسهولة — حينما يُساءُ اليه ؛
إن موتاً صاعقاً في هذه اللحظة العصيبة ،
لهو خيرُ ما يتمنّيانه لحبِّها المشؤوم. ١٢٩٥

---

١) تريد زاتيم أن تلفت نظر روكسان الى التهديد الذي ألمحَ اليه مراد في رسالته (انظر الأبيات ١١٨٥ — ١١٩٢).

روكسان : — بأية وقاحة وجُرأة وأيةٍ وحشية
يحاول كلٌّ منهما ان يَخدَعَ طيبتي وسذاجتي !
أية نزوةٍ بل أية لذةٍ دفعتني الى تصديقهما !
انك لم تُحرز ، أيها الخائن ، نصراً مُبيناً
حين خَدعتَ هذا القلبَ المستهام ١٣٠٠
الذي هو نفسُه كان يخشى أن يُفجَعَ بآماله .
وأنا ذاتُ الحوْلِ والطَوْلِ كنتُ أولَ من بادرَ بكلِ فخرٍ
الى انتشالِك من مهاوي الشقاءِ والبلاء ،
رابطةً حياتي الهانئة السعيدةَ
بمخاطرَ كانت مُحدِقةً بحياتك التاعسة . ١٣٠٥
لن يكون لك — أيها الشقي — بعد كلِّ ذلك التسامح
وتلك المساعي والهِمَم أن ترعى قلبي وتدّعي حبي !
ولكن بأية ذكريات تُخدَعين يا نفسي ؟
ماذا ؟ أتبكين يا شقية ؟ آه ! لقد كان عليك أن تبكي
حين عصَفَتْ بك رغبة باطلةٌ جَموحٌ ، ١٣١٠
كانت ستُكلِّفُكِ آهاتٍ مريرةً ودموعاً غزيرة .
أتبكين ؟ والجاحد الغادر يتأهَّبُ
ليُعِدَّ لك معسولَ الكلامِ وسرابَ الوعودِ ؛
انه اذ يحرص على حياته فما ذلك إلاّ من أجل غريمتي .

آه ! لسوف تموتنّ أيهـــا الخائن ! عجباً ! ألم تذهبي
بعدُ[1] ؟ ١٣١٥
اذهبي . بل لنذهب معاً ولنحثّ الخطى :
وليرني مصمّمة على هلاكه ،
مُظهرة له في آنٍ واحدٍ سلطانَ أخيه ،
وصدقَ ذلك الميثاق[2] الذي أكد فيه خيانتَه .
وأما أنتِ يا زاتيم فأمسكي بغريمتي هنا . ١٣٢٠
عليه ألاّ يسمعَ وداعاً حين يموت سوى صراخِها وعويلها
ومع ذلك فليُعنَ بأمرها ولتُحسَنْ رعايتُها ؛
حافظي عليها يا زاتيم : ان حقدي بحاجة الى بقائها[3] .
آه ! يا للخائنة ! أتبلـُغُ بها وقاحتُها ،
أن تستهينَ بي وتهيمُ بمن أُحب ؟! ١٣٢٥
لأجعلنّها تشهدُ منظراً يقشعرّ لها بدنُها ،
حين أُريها عاشقَها يملأ القصر صياحاً .

---

١) روكسان تنتبه فجأة لوجود زاتيم التي لم تسمع منهـــا ما قالته لها لشدة اضطرابها وذهولها (أنظر الأبيات ١٢٨٢ ــ ١٢٩٥) .

٢) اشارة الى الرسالة التي عثرت عليها زاتيم في صدر أتاليد والتي يؤكد فيها بايزيد عهده لحب هذه الأخيرة .

٣) اذ ببقاء أتاليد على قيد الحياة تتمكن روكسان من إرواء غليلها منها كما تتمكن من إطالة تعذيبها .

لأرينـّها حبيبها – بعد قليل – يلفـّه شحوبُ الموتِ الزّؤام ،

فيُكفـّرا بذلك عن كل ما سلبانيه من أفراح .

إذهبي يا زاتيم وأوقفيهـــا . والزمي بالأخص سكوتاً تاماً . ١٣٣٠

أما أنا ... ولكن من تراه آتياً ليعيقني عن انتقامي ؟

***

المشهد السادس

روكسان – حكمت – عثمان

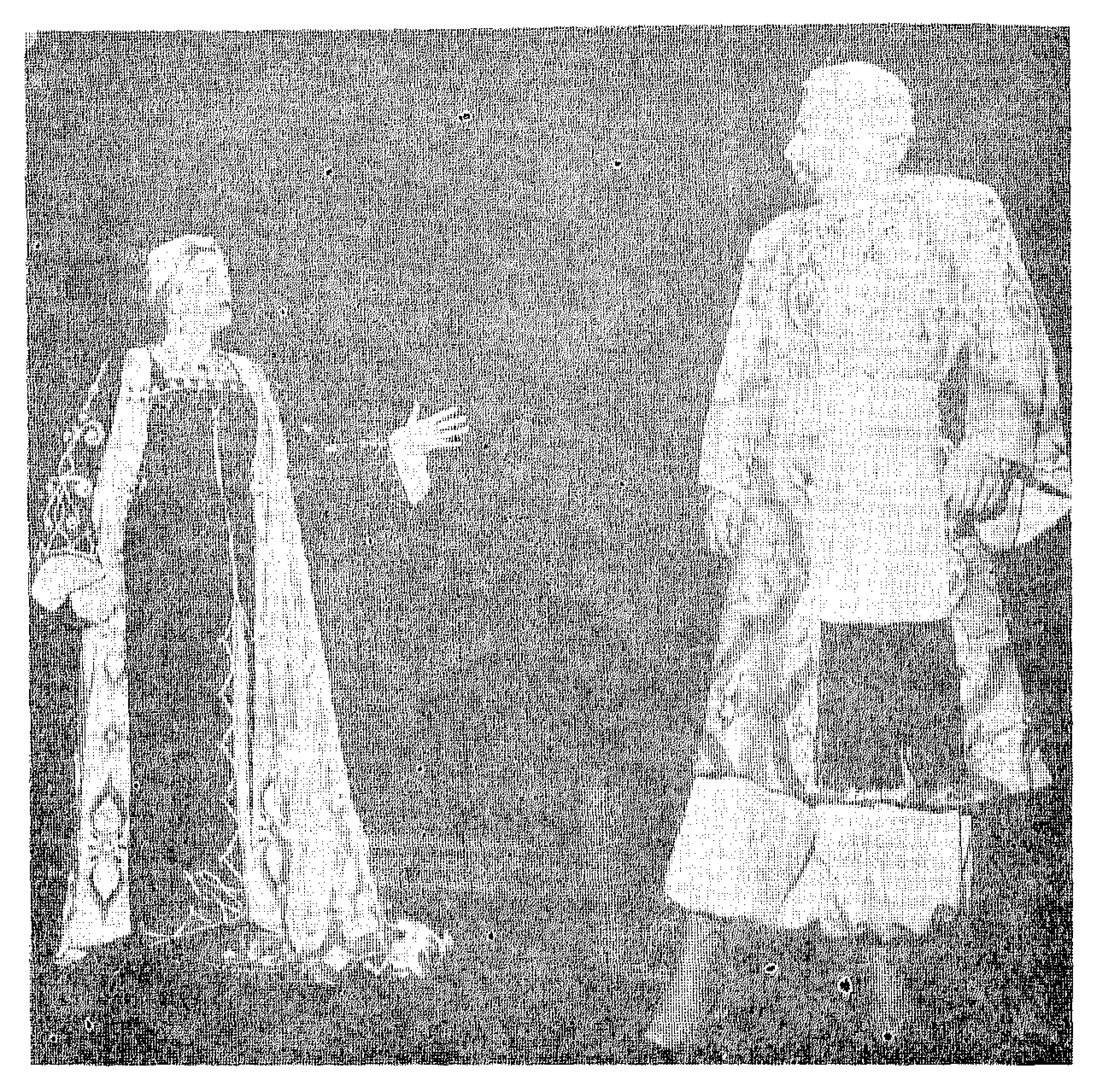
حكمت : — ماذا تفعلين يا سيدتي ؟
أيّ تباطوءٍ تضيّعين فيه لحظات يومٍ ثمين ؟
ان بيزنطية التي احتشد أكثرُها بفضل مساعيّ[1] ،
لتَسألُ رؤساءَها عما يثيرُ خوفهم وقلقهم ؛ ١٣٣٥
وهم حين يأتون جميعاً – كما فعل أعواني – مستفسرين جليّة الأمرِ ،
فانما ينتظرون مني الإشارة[2] التي وعدتني بها .
ولكن لماذا يَلزمُ السراي هذا الصمتَ الحزينَ المطبق ،
فلا يُجيبُهم بما يهدىءُ روعَهم ؟
افصحي يا سيدتي بالله عليك ولا تؤخّري... ١٣٤٠

روكسان : — أجل ، اني سأفصِحُ عما في صدري ولسوف أجدُكَ مسروراً .

---

1) Soins.

٢) وهي العلم – النذير لرسول الله .



روكسان : — أخرج
إنكَ تراني أيها الخائنُ لآخرِ مرّة .

حكمت — سيدتي ، أية نظرات وأية نبرة قاسية ،
تؤكدُ لي العكسَ ، رُغم أقوالِك ؟
عجباً ! هل تغلّبت العقباتُ على حبك أم ماذا ؟

روكسان : — إن بايزيد لخائن ، ولقد عاشَ أكثر مما ينبغي . ١٣٤٥

حكمت : — هو !

روكسان : — أتعلمُ أن هذا الذي كنتُ أرعى حياتَه ،
كان يخدعُنا كلينا ؟

حكمت : — كيف ؟

روكسان : — ان أتاليد هذه
لم تكن جديرةً حتى
ببعضِ ما قمتَ به من أجلها[١] .

حكمت : — ماذا تقولين ؟

روكسان : — إقرأ : واحكمْ ، بعد اطلاعِكَ على هذه الوقاحة، ١٣٥٠
اذا كان علينا أن نتبنى الدفاعَ عن خائن .

---

١) يجب ألا ننسى ان حكمت كان قد تفاخر في المشهد الأول من الفصل الأول بانه هو الذي دبّر كل شيء من أجل ايصال بايزيد الى العرش وأنه وُعِد - لاخلاصه - ان يزوجوه أتاليد .

انه لحري بنا أن نخضع لقسوة مراد العادلة
مراد الذي يقترب منا في عودة مظفرة ؛
لنُهدّىء ، حين نسلّم غير آسفين شريكاً غادراً[1] ،
غضبَ السلطان بتضحية سريعة للغدر والخيانة. ١٣٥٥

حكمت : — (يعيد اليها الرسالة بعد قراءتها)
أجل ، بما أن الجاحد تجاسرَ على اهانتي الى هذا الحد
فانني أقدّمُ نفسي للانتقام لك يا سيدتي اذا لزم الامر.
دعيني أغسل واياك عارَ تُهمة
ألحقتها بنا حياته المشؤومة .
ارشديني الى سواء السبيل حتى أهرعَ اليه . ١٣٦٠

روكسان : — كلا يا حكمت ، دعني انا استمتع بإذلال الجاحد .
أريدُ أن أشهدَ اضطرابَه وأن أتلذّذَ بخزيه .
لن أتعجّلَ كثيراً ساعةَ انتقامي كيْلا أضيعها .
سأهيّءُ كلّ شيء . أما أنتَ فما عليك
إلاّ أن تعجّلَ في تفريق أعوانك المحتشدين . ١٣٦٥

*

١) انه بايزيد شريك روكسان وحكمت للاطاحة بحكم مراد .

المشهد السابع

حكمت — عثمان

حكمت : — إبقَ هنا : لم يحِنِ الوقتُ بعدُ لِخروجي أيّها العزيز عُثمان .

عثمان : — عجباً ! أيستفزُّكَ الحبُّ الى هذا الحدّ يا سيدي ؟
ألا ترى أنك تجاوزتَ كثيراً أبعادَ انتقامِك ؟
أتريدُ أن تكونَ أيضاً شاهداً على هلاكِه ؟

حكمت : — ماذا تريدُ أن تقول ؟ هل أنت نفسك غبيّ ١٣٧٠
إلى درجة اتّهامي بغضبٍ غبيٍّ أرعن[1] ؟
أأنا غيورٌ ؟ لتشهدِ السماءُ على خيانتي لعهدي ،
إذا كان المُتهوّرُ بايزيد لم يسيءْ إلاّ إليّ !

عثمان : — ولِمَ إذن يا سيدي ... فبدلَ أن تذودَ عنه ...

1) D'un courroux ridicule.

حكمت : — وهل السلطانة في حالة تستطيع معها الإصغاء إلي؟ ١٣٧٥
ألمْ ترَ أني حين ذهبتُ إليه ،
كدتُ أهلكُ معه أو أنجو بنفسي ؟
آه ! يا للنهاية المشؤومة لكلّ تلك المساعي !
يا للأميرِ الأعمى ! بل يا للوزيرِ الأعمى !
أيجدرُ بك أنتَ المُثقلَ بالسنينِ والأمجادِ ، ١٣٨٠
أن تسلِمَ قيادَك إلى أيدٍ فتيةٍ لا تقدّرُ ،
وتدعَ مصيرَكَ كوزيرٍ متأرجحاً
على طريقٍ خطرة لعاشقين مُتهوّرَيْن ؟

عثمان : — على رِسْلِك ! دعْهما يتقاذفان الغضب .
إن بايزيد يطلب الموت؛ فكـّرْ بأمرك ياسيدي. ١٣٨٥
من عساه يُفشي أسرارَ مُخططاتك ،
سوى أعوانِك المعتصِمين بصمتٍ دائم ؟
لسوف ترى بموته أن السلطان قد انقلب راضياً مطمئناً.

حكمت : — قد تستطيع روكسان في غمرة غضبها أن تتعلل بماتشاء،
أما أنا الذي يَرى بعيداً ١٣٩٠
والذي مارس منذ زمن ليس باليسير مهنة حكيم البلاط
وأدركَ في شيخوختِه ثلاثة سلاطين متقلباً في المناصب

وشاهدَ المصائبَ تحُلُّ تباعاً بأمثاله[1] ،
فإني أعرفُ دون أن أكونَ مُغالياً أن رجلاً مثلي
عليه أن ينتظرَ عفوَ السلطانِ مُعتمِداً على جُرْأتِـه
وحدَهـا ، ١٣٩٥
وأن نهايةً داميةً هي الميثاقُ الوحيدُ
الذي يبقى رابطاً بين العبد والسيد الساخط الغضوب.

عثمان : — أهرب اذن .

حكمت : — لقد استصوبتُ هذه الفكرةَ منذ قليل :
فإقدامي كان حينذاك أقلَّ وضوحاً وتصميماً ؛
لذلك يَصعُبُ عليَّ كثيراً الآن التراجعُ والنكوص .
يجب أن يَعلمَ الناسُ اني سقطتُ سقوطاً رائعاً، ١٤٠٠
وتركتُ — على الأقل — فلولاً بعدَ فِراري
تُؤخّر عني مُطاردة أعدائي .
إن بايزيد لم يزل على قيد الحياة : فلِمَ الدهشة ؟
لقد عرفتُ كيف أُعيده من ديار بعيدة .
فلننقذْهُ شاء أم أبى ، من هذا الخطر الماحق : ١٤٠٥

---

١) ويعني بكلمة أمثاله هنا الوزراء التسعة الذين تعاقبوا على الحكم في عهد مراد الرابع ، اثنان منهم مـاتا أثناء تأدية وظيفتهما ، وثلاثة أقيلوا ، وأربعة أعدموا أو اغتيلوا (المترجمان) .

من أجلنا، من أجل أنصارنا، من أجل روكسان نفسها.
لقد رأيتَ كيف ان قلبَها المستعدَّ لحمايته
قد أمسك بذراعي التي كانت تستعجلُ الانتقام لها[1] .
إني قليل الخبرة بشؤون الحب ولكني أتجاسر فأجيبُك
بأنه لم يُتهَّمْ ما دامت لا تريد سوى إذلالِه ؛ ١٤١٠
لا يزال لدينا متَّسعٌ من الوقت . فروكسان رُغم يأسها
لا تزال تهواه يا عثمان ولسوف تراه قريباً .

عثمان : — وأخيراً ماذا يوحي اليك إقدامٌ نبيلٌ كهذا ؟
يجب أن نُخلي المكان طالما أن روكسان تريد ذلك :
إن هذا القصر ليمتلىء ... ١٤١٥

حكمت : — أجل ، انه ليمتلىء بعبيد يلفُّهم الغموضُ لفاً ،
عبيدٍ عاشوا بعيدين عن الحرب بين ظلامِ دهاليزه ؛
ولكن ، أنت الذي تناسى مراد بسالتَه ،
هل بوسعِك أن تُعينَ نقمتي وسُخطي حتى النهاية
بأحقادٍ مشتركةٍ[2] تربِطُها حميتُك بمصيري ؟

عثمان : — سيدي ، أنت تُهينني : فانا إن تَمُتْ أُمتْ . ١٤٢٠

حكمت : — إن فرقةً باسلةً من أنصاري وجنودي

---

١) إشارة الى الأبيات ١٣٦٠ – ١٣٦٣

2) Par de communs chagrins.

تنتظر خروجَنا عند أبواب القصر ؛

زِد على ذلك ثقة السلطانة المطلقة بأقوالي :

ثم ان السراي – وقد ترعرعتُ فيه – معروف عندي

بخفاياه ودهاليزه[1] ،

كما اني أعرف زنزانة بايزيد المعهودة ؛ ١٤٢٥

لنسرعْ ، هيا بنا ، واذا كان عليَّ أن أموتَ ،

فلنمتْ معاً ؛ انا يا عزيزي عثمان كوزير

وأنت كصديقٍ أثير[2] عند رجلٍ مثلي .

---

1) Les détours. 2) Le favori.

الفصل الخامس

المشهد الأول

أتاليد (وحدها)

واحيرتاه ! عبثاً أبحث : لا شيء يتراءى لي .
يا لي من شقية ! كيف حدثَ وضيّعتُها[1] ؟ ١٤٣٠
هل سمعتِ أيتها السماءُ لحبي المشؤوم
أن يعرّضَ حبيبي للمخاطرِ مراتٍ ومراتٍ في يوم واحد ؟
وأن تكون هذه الرسالة المنكودة
قد انتهت الى يدَي غريمتي ؟
كنتُ في هذا المكانِ نفسِه ؛ حيث راحتْ يدي المرتجفة ١٤٣٥
تُخفيها في صدري عندما ظهرت روكسان فجأة .
لقد أذهلَ حضورُها نفسيَ الكئيبة[2] ،
اذ أن وعيدَها ونبرتَها وأوامرها أقضّت عليّ مضجعي :
شعرت بقوايَ تخور[3] وذهِلتُ عن نفسي :

١) تعني الرسالة .

2) Désolée. 3) Défaillir.

ولما ثِبتُ الى رُشدي كانت جواريها تُحيط بي؛ ١٤٤٠
وما إن رأينَ نظراتي الذاهلة حتى توارينَ .
آه ! أيتها الأيدي الصخرية التي أنجدتني وترفّقتْ بي
لقد كلّفتني غالياً نجدتُكِ القاسية[١] .
فمنكِ انتقلتْ هذه الرسالة الى يديها .
أية مآربَ[٢] تُشغِلُ بالها الآن ؟ ١٤٤٥
وعلى من ستبدأ بتفجير انتقامها ؟
أي دمٍ تراه يكفي لإطفاء جذوة أحقادها[٣] ؟
ويلاه ! ان بايزيد لميت لا محالة أو انه يموت الآن ،
لحظة يقبضون عليّ فيها ويحتجزونني[٤] .
ها هم يفتحون الباب: سأقف على مصيره بعد قليل. ١٤٥٠

***

1) Secours inhumain. 2) Desseins. 3) Ressentiments.

٤) انه الأمر الذي أصدرته روكسان في البيت رقم ١٣١٩ .

المشهد الثاني

روكسان - أتاليد — زاتيم

روكسان : — أغربي عن وجهي .

أتاليد : - سيدتي ... اعذري تورّطي ...

روكسان : — قلتُ لكِ اغربي عن وجهي ، ولا تجيبي .
أيها الحرَس ، أقبِضوا عليها .

***

المشهد الثالث

روكسان - زاتيم

روكسان : — أجل ، كلُّ شيءٍ على أتمّ الاستعداد يا زاتيم ؛
ان أُركان والخرسان ينتظرون ضحيتهم .
ومع ذلك فاني ما زلت سيدةَ مصيره : 1455
بوسعي الابقاءُ عليه . ولكنه سيُقتَل إن خرج[1] .
أتراه — اذن — يأتيني ؟

زاتيم : — أجل ، لقد رأيتُ عبداً يأتي به على أثري .
واذ كان بمنأى عن الشك في نقمتك الوشيكة ،
فقد بدا لي يا مولاتي انه يهرعُ
من مقصورتِه ساعياً اليك[2] . 1460

---

١) أي أن بايزيد سيُقتل فوراً بمجرد أن يصدر الأمر بخروجه .

٢) ذلك أن بايزيد يشعر دائماً بما سبق له أن أعلنه في رسالته لأتاليد في البيت رقم ١١٣٥ وما بعده ؛ فهو يريد أن يحفظ حياته ولكن دون أن يَعِدَ روكسان بأي شيء سوى عرفانه بجميلها .

روكسان : — أيتها النفس الجبانة والجديرة أخيراً بالخيبةِ والخذلان ،
أيمكن لكِ أن تُطيقي أيضاً مثولَه أمامَك ؟
أوَ تظنين أنك بأحاديثك تَقهرينه أو تُذهلينه ؟
ومع ذلك فها هو يستسلمُ ، فهل بوسعِكِ أن تغفري له؟
ماذا ؟ أوَ ما كان من حقك أن يُثأرُ لك ؟ ١٤٦٥
ألا تظنين كذلك انك أُهنتِ بما فيه الكفاية ؟
وبدَلَ أن أُضيعَ كلَّ هذه الجهودِ من أجل قلبٍ متحجِّر[1]
لِمَ لا أدَعه يَهلكُ ؟ ... ولكن ... ها هو قادم .

1) Endurci.

المشهد الرابع

بايزيد – روكسان

روكسان : — لن أوجّه اليكَ أبداً مآخذَ واهية[1] :
فهذه اللحظات أثمن من أن تضيّعَ بالكلام الهذر. ١٤٧٠
ليست جهودي بخافية عليك : وبكلمة فانت تحيا :
ولن أقولَ لك إلا ما تعلمُه .
وبالرغم من كل حبي، واذا لم استطع ان أُثيرَ اعجابَك،
فلن أشكو أبداً ؛ واذ أرغب في ألا أكتمك شيئاً
أقول إن هـــذا الحبّ نفسه وتلك المكرُماتِ
ذاتها ، ١٤٧٥
كان عليها ان تَنوبَ عن مفاتني الضعيفة[2] .
غير أن ما يدهشني أخيراً هو نكرانُك
لكلّ ما بذلتُه من حب وثقة وإيثار ،

1) Frivoles. 2) Mes faibles attraits.

وتظاهرُكَ دهراً طويلاً ، وبمكرٍ وضيعٍ[1] ،
بحبك لي حباً لم تكن لتشعُرَ به أبداً .   ١٤٨٠

بايزيد : — من ! أنا ، يا سيدتي ؟

روكسان : — أجل ، أنتَ . هل تريدُ أيضاً أن تتجاهلَ
إهانةً ألحقتَها بي وأنت تظن انني لا أُحسُّها ؟
أوَ لم تزعُمْ قط ، بمظاهرِكَ الخادعة[2] ،
أنكَ تُخفي حباً تحمله حناياك لغيري ؛
وأنكَ أقسمتَ لي بلسان خؤون على كل[3]   ١٤٨٥
ما لا يخفِقُ به فؤادُكَ إلا لحبيبتك أتاليد[4] ؟

بايزيد : — أتاليد ! سيدتي ! يا للسماء ! من قال لك ...

روكسان : — اليك — أيها الخائن — أنظر وكذّب هذه الرسالة .

بايزيد : — لن أقول لك شيئاً : هذه الرسالة الوفية
تنطوي على جميع خفايا حبٍ شقي ؛   ١٤٩٠
انك تعرفين سراً دفيناً كان قلبي يَهِمّ
بان يُطلِعكِ عليه أكثر من مرة .

---

1) Détours si bas.   2) Par tes fausses couleurs.
3) Et me jurer enfin, d'une bouche perfide,
4) Tout ce que tu ne sens que pour ton Atalide.



روكسان : — إليكَ أيها الخائنُ أنظرْ وكذّب هذه الرّسالة .

اني اعترفُ ، فأنا أُحبها ، أجل لقد أحببتها
قبل أن تكاشفيني أنتِ بهواكِ ،
كان كياني مُفعماً بحبها منذ الطفولة ، ١٤٩٥
وكان قلبي مُوصداً أمام كلِ رغبة أخرى .
ثم جئتِ أنت تمنحينَني الحياة والسلطان ؛
وحين استضاء حبك بأنوار ألطافِك نحوي ،
خُيِّلَ اليه ان هذه الالطافَ كفيلةٌ بأخذ براءة حبٍ
لك مني وضمانٍ لمشاعري الصادقة نحوَكِ . ١٥٠٠
لقد عرفتُ غوايتَكِ . ولكن ماذا كان يمكنني عمله ؟
ساعة كنت أرى كم كانت عزيزةً عليك تلك الغِواية .
ليت شعري كم يُغوي العرشُ قلباً طموحاً وكم يُغري !
ان هبةً نبيلةً كهذه جعلت عينيَّ تنفتحان بدهشةعليها
فأحببتُ ثم قبلتُ بلا إبطاءٍ ١٥٠٥
تلك الفرصةَ السعيدة والأمــلَ العتيدَ بالخروجِ من
ذلِّ الأسر
في الوقت الذي كان عليَّ إما أن أنتهزَها أو أموت ؛
وفي حين أنك أنتِ المتحمِّسة لمنحي إياها
لم تكوني تخشَين شيئاً سوى أن أرفضَها ؛
اذ أن رفضي لها قد يعرِّضُكِ للمخاطر[١] ؛ ١٥١٠

---

١) اشارة الى انتقام مراد المحتمل من روكسان إذا ترددت في قتل بايزيد .

وأنه بعد أن تجرّأتِ ورأيتِني وحدّثتِني ،
أصبح من الخطرِ عليك أن تتراجعي .
ومع ذلك فإنني لا أريدُ أن أُشهِدَ أحداً سِوى زَفَراتِكِ ،
فهل تُراني استطعتُ خداعَك بوعودٍ كاذبة ؟
فكّري كم من مرّة أنحيتِ باللائمة ١٥١٥
على صمتي وبوادرِ اضطرابي الدّفين ،
وكلما كانت نتيجةُ مَساعيكِ مُحقّقةً لمجدي
كان قلبي الحائرُ يحاسبُ نفسَه حساباً عسيراً .
والسماءُ التي كانت تسمعُني تعرفُ جيّداً أنني في الوقتِ نفسِه
لم أتوقفْ عند رغباتٍ ضعيفةٍ عاجزة : ١٥٢٠
وإذا كان لمساعيك أن تفسح لي مجال الشكر والعرفان،
لكنتُ أرضيتُ كبرياءَكِ ،
وردَدْتُ إليكِ أفضالَكِ وألطافَكِ ،
على كلّ ما طوّقتِ عنقي به من أمجاد ،
لعلّكِ كنت أنت بنفسِك ... ١٥٢٥

روكسان : — وماذا كان بمقدورِك أن تفعل ؟
إلى أي مدى يمكنك أن ترضيني دون أن تهَبَني قلبَك؟
ما عسى أن تكونَ ثمراتُ أمانيك الباطلة ؟
ألا تذكرُ أبداً من تُراني أكون ؟

أنا سيدةُ السراي ، والقيّمة على حياتِك[1]
وحق على الدولة التي عَهِدَ مرادُ بها إليّ ، ١٥٣٠
أنا السلطانةُ التي ظنّتْ عبثاً أنها ستجدُ عندَكَ
أميرةً على قلبٍ لم يحبّ سواها ،
وفي هذا الفيضِ من المجدِ الذي توصّلتُ إليه
إلى أيّ عارٍ تستبقيني وتلطّخُ شرفي ومجدي ؟
هل سأجرجرُ هنا مصيراً بائساً شقياً ؟ ١٥٣٥
وانقلبُ حثالةً رديئةً[1] لجاحدٍ مثلِك كنتُ سأتوّجه
بيدي ،
حثالةً قذفتْها للوجود آلاف من الجواري البائسات أمثالي
أوَ تراني سأكون أوّل جاريةٍ لغريمتي ؟
دعنا من هذا الحديث الباطل ؛ وبدون ان تزيدَني هماً
أقول لك للمرة الأخيرة : هل تريد أن تعيش
وتسود ؟ ١٥٤٠
لديّ أوامر من مراد وبإمكاني أن أنقذَك منها .
ولكنك لا تملك سوى لحظة واحدة : تكلمْ .

بايزيد : — ماذا ينبغي أن أفعل ؟

روكسان : — ان غريمتي هنا : اتبعني بلا إبطاء ؛

1) Arbitre de ta vie.

تعال واشهدها تموت بين أيدي الخرسان :
واذا ما تحررتَ من حبٍّ كان شؤماً على مجدك ، ١٥٤٥
تعال وعاهدني على الوفاء : ودعِ الزمنَ يتكفّلُ بالباقي
ذلك هو جزاءُ عفوي عنك وصفحي إن أردتَها .

بايزيد : — لن أقبلَ بهما إلا عقاباً لكِ وقصاصاً ،
وإلا لأظهِرَ أمام أنظارِ جميعِ من في السلطنة
الفظاعةَ والحقارةَ اللتين يُوحي بهما اليّ عرضُكِ
هذا . ١٥٥٠
ولكن الى أي مدًى من الغضب يستسلمُ كياني !
وكم أُثيرُ سُخطَكِ على أيامها الكئيبة !
ألآ فاعلمي : أنها ليست ضالعةً معي في غضبي وسُخطي[١]،
حتى ولا في حبي ، ولا في ظلمي لك وتنكّري[٢] :
وبدلاً من أن تُمسكَني عنكِ بإغراءٍ غيورٍ ، ١٥٥٥
فقد كانت تستحلِفُني بأن أَهَبَكَ نفسي وحبي .
وبكلمة : عليكِ أن تفرّقي بين فضيلتِها وجريمتي ،
استمرّي ، إذا لزمَ الأمرُ ، في غضبك المشروع ؛
وسارعي إلى الإنصياعِ لأوامرِ مُراد ونواهيه ؛

---

١) فقد بلغت الثورة والنقمة ببايزيد الى درجة تهديد روكسان بالموت .
٢) اي تنكره لجميلها ولحبها .

ولكنْ دَعيني ـ على الأقلّ ـ أمُتْ دونَ أن
أكْرَهَكِ . ١٥٦٠

إن مراداً حين أدانني لم يُدِنْها معي :
فإبقي ـ رُحماك ـ على حياةٍ كفاها شؤماً ونكداً .
أضيفي هذا العفوَ والسماحَ إلى مآثِرك الأخرى الكثيرة
يا سيدتي ؟

وإذا كنتُ يوماً أثيراً لديك ...

روكسان : ـ أُخْرُجْ .

المشهد الخامس

روكسان — زاتيم

روكسان : — إنكَ تراني أيها الخائنُ لآخرِ مرّة[1] ، 1565
ولسوف تلقى جزاءَك الذي تستحق .

زاتيم : — إن أتاليد لتطلبُ الإرتماءَ على قدميْك يا مولاتي
وتلتمسُ منكِ أن تصغي إليها لحظةً واحدة ،
فهي تريدُ أن تفضي إليكِ باعترافٍ وفيٍّ
لسرٍّ خطيرٍ يهمُّكِ أكثرَ مما يهمُّها . 1570

روكسان : — أجـل ، لتأتِ . أمّا أنتِ فاتبعي بايزيد الذي خرج مِنْ هُـنا ،
وعندما تأزفُ الساعةُ عودي إليَّ بأخباره .

---

١) بالرغم من خروج بايزيد ومن تغير المشهد فإن روكسان لا تزال تخاطبه وهي في أوج انفعالها كأنه أمامها .

المشهد السادس

روكسان — أتاليد

أتاليد : — انني لم آتِ قطُّ يا سيدتي لأظهرَ أمامَك تكلُّفاً أو رياء،
ولا لأغرِّرَ بطيبتِك التي خُدِعت زمناً طويلاً ؛
انا المستخذيةُ الجديرةُ بكرهِك ومقتِك ، 1575
ولكني آتيةٌ لأضعَ على قدميك قلبي وجريرَتي .
أجل يا سيدتي فلقد خدعتك في الحقيقة :
هيهات لي أن أُخلصَ لك ، فقد كنتُ مشغولة بحبي وحده ،
ومنذ أن تعرفتُ الى بايزيد ،
لم أُفكِّرْ في أحاديثي معه إلا بخيانتِك . 1580
لقد أحببتُه منذ الطفولة ؛ ومنذ ذلك الحين يا سيدتي ،
عرفتُ كيف أستميله بألف شاغلٍ وشاغل .
إن أمه السلطانة التي كانت تجهل ما يخبئه المستقبل ،

قد سرّها – وأأسفاه ! – أن تؤلفَ بين قلبينا
لسوء حظه[١] .
حتى جئتِ أنت وأحببتِه : فلو أن حبَّكِ عرف ١٥٨٥
كيف يشكّ في حبي لأصاب كلانا حظاً أسعدَ
ومصيراً أفضل ؛
آه لو أنه كشفَ سرّ قلبي وأخفى عني سرّ قلبِك !
فأنا لستُ بحاجةٍ الى تسويدِ صفحتي لكي أبرّرَ موقفي .
اني استحلفُكِ بالسماء التي تشهدُ خزْيي[٢] ،
وبالعثمانيين العظامِ الذين أتحدّرُ منهم ، ١٥٩٠
والذين يخاطبونك جميعُهم معي ساجدين[٣]
من أجل أزكى وأنبل دم جرى في عروقنا[٤] منهم .
إن بايزيد ، وهو الأكثر اعترافاً بلطفك وفضلك
سوفَ لا يكونُ يوماً عصيّاً تجاهَ كلّ تلك الألطافِ
والأفضال .
لقد كنت غيورة عليه ، مستعدة دائماً لأن أظهر له ١٥٩٥

١) ذلك لأن هذا الحب كان سبباً لهلاكه على يد روكسان التي رفض ان يستجيب لحبها (كما سنرى فيما بعد).

2) Confondue.

٣) ان موقف التوسل والخضوع الذي تقفه أتاليد أمام روكسان هو بالنسبه لروكسان المحظية نصر كبير واشباع لغرورها وكبريائها حين تزى الاميرة المتحدرة من دم ملكي ساجدة على قدميها بكل أمجادها الموروثة ودمهـا العثماني النبيل . (انظر ترجمتنا « لأندروماك » البيتين رقم ٨٥٩ – ٨٦٠)

٤) عروق أتاليد وبايزيد .



أتاليد : — ولكني آتيةٌ لأضعَ على قدميْكَ قلبي وجريرتي .

كلّ ما كنتُ أظنُّ أنه كفيلٌ برَدْعِه عن حبي ،
فلم أدّخِرْ شيئاً من التأوُّهاتِ والدموعِ وقذفِه بكل غَيْظي وغَضَبي ،
وأحياناً كنتُ أستحْلِفُه بروحِ أمّه ،
وفي هذا النهارِ بالذات : هذا النهارِ المُنَكَّدِ المشؤوم
عَنَّفتُه على الأمل الذي كان قد منّاكِ به ، ١٦٠٠
كما حمّلته أخيراً وِزْرَ موتي .
إن عزيمتي المنكودةَ لم تَهِنْ ولم تَضْعُفْ ،
إلا حين انتزعتُ منه ضماناً ببقائِه على عهدِه لك ،
ذلك لأني لم أستطع ان أُقنِعَ نفسي بهلاكه معي .
ولكن ما لي أرى طيبتكِ يعتريها الوَهن ؟ ١٦٠٥
رُحماكِ لا تحكمي على بروده وجموده الماضيين :
فأنا التي دفعتُه الى اصطناعها تجاهكِ ؛ والروابط التي قطعتُها
ستعود قريباً الى الالتحام عندما أغادر هذه الدنيا .
ومهما تكن مرارةُ الألم الذي سبّبته لك جريمتي ،
فلا تُصدري أنت بنفسك قراراً بموته المشروع ، ١٦١٠
ولا تُظهري أبداً أمام قلبِه الولهان
يديك الملطختين بدمي المسفوح :
إبقي على ضعفِ قلبٍ[1] لا يزال سموحاً عطوفا .

---

[1]) قلب بايزيد .

بإمكانك أن تخلّي بيني وبين مصيري المحتوم يا سيدتي[1]؛
ان موتي لن يكون أبطأ منه في مواجهة النهاية. ١٦١٥
فتمتّعي بسعادةٍ يوفّرها لك هلاكي؛
توّجي بطلاً سيتوجك قلبُه أميرةً عليه[2] :
وها أنا سأحرصُ على مواجهة مصيري فاحرصي أنت على حياته[3].

هيا يا سيدتي، هيا: فقبلَ رجوعِك،
أكونُ قد أنقذتُ حبَّكِ من غريمِه. ١٦٢٠

روكسان : — انا لا أستحق تضحيةً كبرى كهذه:
انني أعرف نفسي وسأضعُ الحقَّ في نصابه.
هيهات لي أن أُفرّقَ بينكما، واليوم سأتوخّى
أن أوحّد بينكما بروابطَ خالدة لا تُفصَمُ عُراها:
ستتمتعين بعد لحظات برؤية مُحيّاه الجميل. ١٦٢٥
انظري... ما بالُ زاتيم ترتعِشُ كلَّ هذا الإرتعاش؟

★

1) Vous pouvez de mon sort me laisser la maîtresse.
2) Couronnez un héros dont vous serez chérie :
3) J'aurai soin de ma mort : prenez soin de sa vie.

المشهد السابع

روكسان – أتاليد – زاتيم

زاتيم : – آه ! تعالي وابْرُزي في السّاح يا مولاتي
وإلاّ فإن حكمت المتمرِّد هو سيِّدُ القصرِ بعد الآن :
إن أعوانَه المجرمين قد اقتحموا بابَ القصرِ عُنوَةً ،
مُنتهكين حُرمةَ السلاطين المقدَّسة . ، ١٦٣٠
وعبيدُك المرتعِدون من الهَلَع ، والذين فرَّ نصفُهم ،
ليتساءلون عما إذا كان الوزيرُ بعملِه هذا يخدِمُك
أو يخونُك .

روكسان : — آه ! يا للخونة ! هيا لنُسرعْ إلى كَبْحِه وإخزائه .
أما أنت فاحرسي سجينتي واحرصي على الوفاء لي بذلك .

المشهد الثامن

أتاليد — زاتيم

أتاليد : — واأسفاه ! لمن يَليقُ بقلبي أن يفتحَ مغاليقه[1] ؟ ١٦٣٥
إنني لأجهلُ أيَّ أمرٍ يُثيرُهما كليهما وأيَّ عزم .
وإذا مـــا أدركتْكِ شفقةٌ أو عطفٌ على كلِّ تلك المصائبِ والآلام ،
فأنا لا أطلبُ منك شيئاً يا زاتيم سوى
أن يخونَ لسانُك روكسان وسرَّها من أجلي ؛
ولكن ــ رُحماك ــ أخبريني ماالذي يفعله بايزيد؟ ١٦٤٠
هل رأيتِه ؟ وهل كتِبَ لي أن أخشى شيئاً على حياته؟

زاتيم : — سيدتي، لا يسعُني إلا ان أرثي لك في مصائبك وآلامك.

أتاليد : — ماذا ؟ أوَ أمرَتْ روكسان بموته ؟

---

1) Faire des vœux.

زاتيم : — سيدتي ، انني ملزمة بالصمت المطلق وبالكتمان على الأخص .

أتاليد : — أيتها الشقية ! أخبريني فقط اذا كان على قيد الحياة . ٦٤٥

زاتيم : — قد يكلفني ذلك حياتي[1] ، وليس بوسعي أن أقول شيئاً .

أتاليد : — كفى كفى أيتها القاسية . اكملي مهمتك ولتُعطها يدُكِ
عهداً أكثرَ ضماناً لوفائك وإخلاصِك ؛
إطعني انتِ ايضاً قلباً يُفجعُه صمتُك وكتمانك ،
من أجل جاريةٍ بربريةٍ ، جاريةٍ قاسيةٍ ، ٦٥٠
تُعجّلُ بهلاكِ حياةٍ تُصرُّ على أن تحرُمني منها ؛
إظهري ، اذا شئتِ ، جدارتك في خدمتها ، إظهري !
عبثاً تحتجزينني ؛ ومنذ هذه الساعةِ بالذات ،
عليّ أن أراه أو أمت[2] .

★

1) Il y va de ma vie.

٢) تحاول أتاليد أن تفلت من يدي زاتيم بالقوة .

المشهد التاسع

أتاليد – حكمت – زاتيم

حكمت : – آه ! أين هو بايزيد ؟ أين عساني أجدُه يا سيدتي ؟ ١٦٥٥
هل لا يزال لديَّ وقتٌ لإنقاذه ؟
إني أفتّشُ عنهُ في جميعِ أنحــاءِ السَّراي ؛ ومنذُ وُلوجِنا ،
توزَّعَ أعواني الشجعانُ وانشطروا إلى شَطرين :
شطر سارَ على خُطواتِ عثمانَ الشجاعِ ،
وشطر سارَ معي في اتجاهٍ آخر ؛ ١٦٦٠
رُحتُ أركضُ فما رأيتُ غيرَ زُمَرٍ وَجبلة
من عبيدٍ مذعورين ونساءٍ هاربات .

أتاليد : – آه ! لستُ أدري عن مصيرِه شيئاً أكثرَ منك .
إن هذه الجارية أدرى .

حكمت : – (مهدداً الجارية زاتيم)
إخشَيْ غضبي العادل يا شقية ، تكلمي . ١٦٦٥

المشهد العاشر

أتاليد – حكمت – زاتيم – أزاهير

أزاهير : – مولاتي !

أتاليد : – ماذا ؟ ماذا يا أزاهير ؟

أزاهير – لا تخشي شيئاً بعد الآن : ان عدوتكِ تجود بنفسِها .

أتاليد : – روكسان ؟

أزاهير : – والذي سوف يُثيرُ دهشتكِ أكثر
ان أُركان ، أُركان بنفسه قد صرعها منذ قليل .

أتاليد : – واعجباً ! هُوَ ؟

أزاهير : – أما وقد يئسَ من تحقيق جريمتِه[1]
فلا ريب انه أراد الإستعاضة عنها بهذه الضحية. ١٦٧٠

١) بقتل بايزيد .

أتاليد : — أيتهـــا السماء العادلة ، لقد وجدَتْ البراءةُ فيكِ ظهيراً لها[1]

ان بايزيد ما زال حياً : أيها الوزير إهرَعْ اليه .

أزاهير : — سيُنبئكِ عثمانُ بالحقيقةِ كاملةً ؛

فقد شاهدَ كلَّ شيء .

★

1) Appui.

المشهد الحادي عشر

أتاليد – حكمت – عثمان – أزاهير

حكمت : — ألمْ تُسحِرْها عيناه ؟
ُترى أماتت حقاً روكسان ؟ ١٦٧٥

عثمان[1] : — أجل ، لقد رأيتُ القاتلَ
ينتزعُ خنجرَه من صدرِها مغمَّساً بالدماء .
إنّ أُركان الذي أخفى هذه الخدعةَ الدامية
كان يتظاهرُ بخدمتِها مصمِّماً في سرِّه على هلاكِها بالذّات[2] ،
صادعاً بأمرِ السلطان الذي كان قد أسرَّ له به

---

١) كان عثمان قد افترق عن الوزير حكمت عند دخوله السراي . ولذلك فمن المعقول ان ينقل لسيده حكمت وقائع الحوادث التي لم يشهدها هذا الأخير .

٢) لقد وضع أركان نفسه في خدمة روكسان ليتسنى له قتل بايزيد وفقاً لمشيئة السلطان، ولكنه اجتهد في اخفاء امر قتلها لأن السلطان اتهمها بالتهاون في تنفيذ اوامره التي كانت تقضي عليها بقتل بايزيد اخيه ..

ليفتكَ بالعاشقِ ثم يُجْهزُ على العشيقة . ١٦٨٠
هو نفسُه ما إن رآنا من بعيد ،
حتى صاحَ بنا : « احترموا أمرَ سيدِكم ؛
تعرّفوا أيها الخونة إلى توقيعِه الجليل وخَتمِه ،
واخرجوا من حَرَمِ هذا القصر المقدّس » .
إثرَ هذا الخطابِ اتجهَ نحونا ، ١٦٨٥
تاركاً السلطانة تحتضر ؛ وبيد مضرّجةٍ ،
أبرز لنا الأمرَ الذي كلّفَ به مراد
هذا الوحش البشري لتنفيذ جريمته المزدوجة .
ولكن يا سيدي قبل أن نرغب في الاصغاء اليه
اقتصّتْ من جريمتـه البشعة سواعدنا التي عيـلَ
صبرُها ، ١٦٩٠
يستفزّها الألمُ والغضبُ في آن ،
منتقمةً لمصرع بايزيد بسَفكِ دمِ الوحش .

أتاليد : — بايزيد !

حكمت : — ماذا تقول ؟

عثمان : — لقد مات بايزيد .
أوَ كنتما تجهلان ذلك ؟

أتاليد : — يا للسماء !

عثمان . — وحين خافت عشيقتُه الهائجة
نجدَتكَ له هنا يا سيدي ١٦٩٥
قذَفتْ به بين أشداق الموت الزؤام .
لقد شاهدتُ بأمِّ عيني أكثرَ الأشياء فظاعةً وهولاً ،
وعبثاً فتشتُ علَّني أجدُ فيه بقيةَ حياة :
لكن بايزيد كان قد أسلم الروح . لقد رأيناه
محاطاً ـ في روعةٍ وجلال ـ بأمواتٍ ومحتضرين، ١٧٠٠
كان هذا البطلُ قد أجبرَهم على الموتِ معه ،
مُنتقِماً بهم لهزيمتِهِ ومُسلِماً الروحَ تحتَ ضغطِ العددِ
الكبير[1] .
أما وقد قُضِيَ الأمرُ يا سيدي فلنفكرْ بأمرنا نحن .

حكمت : — ويلاه ! أيتها المصائرُ اللدودة ، إلى أين تنتهين بي ؟
(ملتفتاً الى أتاليد)
إنني أُقدِّر خسارتك الفادحة في بايزيد ياسيدتي؛ ١٧٠٥
وأُدرِكُ جيداً أنه في الحالة التي أنتِ فيها
ليس لمثلي أبداً أن يُقدِّمَ لك

١) يستنتج حسب رواية المؤرخ « دي فردييه » في كتابه : « موجز تاريخ الأتراك » (١٦٦٥) ان بايزيد الذي قضي عليه في آن واحد مع أخ له يدعى « أركان » كذلك ، لم تكن رائعة كما صورها راسين ؛ فقد جاء في هذا الكتاب : « ان بايزيد خُنق بدون أية مقاومة ، في حين ان اخاه « أركان » قاوم بضراوة ولم يستسلم الا بعد ان صرع ثلاثة رجال » . (المترجمان)

عَوْنَ رفاقٍ بائسينَ لم يعقدوا إلا عليه آمالَهم :
أمّا وقد اجتاحَني وأيأسَني موتُه الذي يُؤرِّقُني وَيُرْهِقُني ،
فإني لن أسعى لإنقاذِ رأسي الآثِمَ هذا[1] ، ١٧١٠
ولكني وقد بُتُّ مَديناً لمساعي أعواني المساكينَ وَأفْضالِهِم ،
فسأدافعُ حتى النهايةِ عن أرْواحِهِم التي وَضَعُوها بَيْنَ يَدَيّ .
أمّا أنتِ فإن شئتِ غادَرْنا القصرَ إلى ديارٍ أُخرى
ليكونَ رأسُكِ الشريفُ في نُجوَةٍ مِنْ كلِّ خَطَرٍ يا سَيِّدَتي .
فكري ملياً : وإني لحظة أُصبح سيد هذا القصر، ١٧١٥
فان أعواني المخلصين سينتظرون أوامرك وينفّذون رغباتك ؛
عليّ الآن لكي لا أُضيعَ وقتاً ثميناً جداً ،
أن أهرعَ الى حيث لا يزال وجودي ضرورياً ؛
وهناك عند مواطىء الأسوارِ حيث يغسِلُ الموج أقدامَها
سأوافيكِ مقلعين على مراكبي المشرَعة . ١٧٢٠

---

[1]) أما وقد رأى حكمت فشل الانقلاب فقد راح يحاول تغطية هربه بمظاهر الشهامة والغيرة إلا انه في الواقع كان قد أعدّ العدة لجميع الاحتمالات ومنها الهرب ..

المشهد الثاني عشر

أتاليد – أزاهير

أتاليد : — وبعدُ ، فقد قُضي الأمرُ إذن : وبفضل خُداعي ومكري

وشكوكي الظالمة ونزواتي المشؤومة ،

انتهيتُ الى اللحظة الكئيبة المؤلمة

حيث أشهدُ هلاك حبيبي على يد جريمتي .

ويلاه ! ألم يكن كافياً أيها القدرُ القاسي ، 1725

أن يُحكمَ عليّ بأن أحيا من بعده ؟

وهل قدّر لي أيضاً – نكالاً بي وزيادةً لهمومي – ،

ألاّ أعزو موته إلاّ الى هياجي وثورتي ؟

بَلى إنه انا ايها الحبيبُ الغالي التي انتزعتْ منك الحياة:

إن روكسان أو السلطان لم يسلُباك إياها قط : 1730

أنا وحدي نسجتُ خيوطَ الحبلِ التعيس[1]

---

١) وهو حبل رهيب يمسك به العبيد من طرفيه حول عنق المحكوم بالاعدام ثم يشدّون فينتهي كل شيء .

الذي عانيتَ منذ هنيهةٍ من عُقَدِه البغيضة .

كان بوسعي أن أحتملَ وطأةَ الخبرِ دون ان أتلاشى[1]،

أنا التي لم أستطعْ منذُ لحظاتٍ حيثُ كنتُ مُعَرَّضة لِفَقْدِكِ ،

أن أحتفظَ بوَعْيي الذي أسرعَ في تخليه عني ! ١٧٣٥

أُواه ! أوَ لمْ أُحبّكِ إلاّ لأقتلَكَ ؟ !

ألآ إن الكيْلَ قد طَفح : فعلى يَدَي الوفيةِ هذه ،

أن تنتقمَ لكَ وأن تقتصَّ مني بتضحيةٍ صاعقة .

وأنتم يا مَنْ أقلقتُ مجدَكم وأزْعَجْتُ راحتَكم ،

أنتم أيُّها الأبطال[2]

الذين كان عليكم أن تحيَوْا في هذا البطل ، ١٧٤٠

وأنتِ أيتها الأمُّ الشقية[3] يا من عَهدتِ إليَّ بقلبه

منذُ نعُومةِ أظفارِنا يَحْدوكِ أمَلٌ عَذْبٌ غيرَ ما انْتَهَيْنا إليه ؛

وأنتَ أيُّها الوزيرُ التّعِيسُ ، وأنتم أيُّها الأعْوَانُ البائِسون ،

وأنتِ يا روكسان ، أنتم جميعاً أيها المتآمرونَ عليّ ،

---

١) أنظر البيت رقم ١٢٠٥ .

٢) تخاطب جميع أبطال العائلة العثمانية المالكة التي تنتمي اليها (أنظر البيت رقم ١٥٩٠).

٣) تخاطب أم بايزيد السلطانة .

تعالوا جميعاً وضاعِفوا عذابَ عاشقةٍ ولهى ، ١٧٤٥

(تقتل نفسها)

انتصِفوا أخيراً لأنفسِكم مني وانتقموا .

أزاهير : — وَيْلاه ! مولاتي !... إنها تجودُ بنفسِها ؛ يا للسماء !

لِمَ لا يَسَعُني

في هذا البلاء أن أموتَ معها حسرةً وألماً !

— تمت —

روائع الأدب الفرنسي الكلاسيكي

يصدر تباعاً

١	السيّد	مأساة	بيير كورني
٢	أندروماك	مأساة	جان راسين
٣	المتحذلقات	ملهاة	موليير
٤	طرطوف	ملهاة	موليير
٥	فيدر	مأساة	جان راسين
٦	بايزيد	مأساة	جان راسين
٧	هوراس	مأساة	بيير كورني
٨	النساء العالمات	ملهاة	موليير
٩	برينيس	مأساة	جان راسين
١٠	البخيل	ملهاة	موليير
١١	مريض الوهم	ملهاة	موليير
١٢	الطبيب رغماً عنه	ملهاة	موليير
١٣	دون جوان	ملهاة	موليير
١٤	بريتانيكوس	مأساة	جان راسين
١٥	كاره البشر	ملهاة	موليير
١٦	إيفيجيني	مأساة	جان راسين
١٧	متريدات	مأساة	جان راسين
١٨	المثري النبيل	ملهاة	موليير
١٩	سينا	مأساة	بيير كورني
٢٠	بوليوكت	مأساة	بيير كورني
٢١	نيكوميد	مأساة	بيير كورني
٢٢	رودو غين	مأساة	بيير كورني
٢٣	أتالي	مأساة	جان راسين
٢٤	مدرسة النساء	ملهاة	موليير

تمّ طبع هذا الكتاب على مطابع

دار الكتاب اللبناني

بيروت ص. ب ٣١٧٦ - تلفون ٢٢٧٩٨٣

سنة ١٩٦٧

RACINE

BAJAZET

Tragédie



Éditeurs :

DAR ALKITAB ALLUBNANI

BEYROUTH